أحمد إبراهيم الفقيه



المسرحيات

دار الشروق


غناء
النجوم

الطبعـة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

الإهـــداء

إلى ذلك الفنان ، الكبير، الشامخ ، العبقـري : محمد العقربي ، الذي جاء من تونس إلى طـرابلس ليكون معلما لي ولأبناء جيلي ممن عاشـوا قريبا منه ، وشاهدوا الإبداع المسرحي ، تمثيلا وإخـراجا ، فكرا ومعرفة ، نظرية وتطبيقا ، يتجسد في رجل كأنه أبوللـو رب الفنون ، يقدم عطاياه الكريمة لكل مـن حولـه ضوءا مبهـرا يضئ العقـول والقلوب ويكنـس من فـوق الأرض أكداس الظلام . .

إليه فناناً وأستاذاً وإنساناً . . .

أهدي هذه الصفحات إحياء لذكراه .

المؤلف

استهلال

هذه خمس مسرحيات قصيرة كتبتها في فترات زمنية متفاوتة. فبالنسبة لمسرحيتي زائر المساء وصحيفة الصباح فقد كتبتهما باللغة الإنجليزية تحت تأثير أجواء الدراسة المسرحية عندما كنت في لندن في أواخر الستينيات وقد قدمت هاتين المسرحيتين من قبل أكثر من فرقة مسرحية باللغتين العربية والإنجليزية. ومن أهم هذه العروض تلك التي قام بها أعضاء فريق كندي على مسرح الكشاف عام ١٩٧٢، والعرض الذي أخرجه الفنان عادل درويش لزائر المساء في مدينة لندن بممثلين بريطانيين. كما تولى تقديمها أعضاء هيئة تدريس المعهد الوطني للموسيقى والتمثيل باللغة العربية ضمن فعاليات مهرجان المعهد عام١٩٧٢ وقد نشرت هاتين المسرحيتين في إحدي مجموعاتي القصصية الصادرة في السبعينيات. مسرحية «هارولد» القصيرة جداً والتي لم تنشر من قبل، هي أيضاً نتاج تلك المرحلة أما «لن يقتلوا الربيع»، فهي «حوارية» وطنية، كتبتها إثر الغارة الأمريكية الظالمة على مدينتي طرابلس وبنغازي، وتولى فريق من ممثلي المسرح الوطني بطرابلس تقديم العمل بمقر رابطة الأدباء والكتاب والفنانين، بإشراف مدير الفرقة الفنان الطاهر القبائلي.

وتبقى «غناء النجوم» المسرحية التي صار اسمها عنواناً لهذا الكتاب، أحدث نص مسرحي كتبته حتى الآن أي عام ١٩٩٤.

لقد كتبت للمسرح مسرحيات طويلـة ، متعددة الفصـ
ومنصور والغزالات وكاتب لم يكتب شيئا ، التي تم تقديمه
ومسرحيــة أخـرى لم تقدم بعـد مثـل «لعبـة الـرجل والمرأة
المسرحيات الصغيرة تتيح للكاتب فرصة أكثر للمغامرة الفـ
مـا تقدم لجمهـور من المتخصصين والمهتمين بمتـابعة إنـ
الطليعي والمسرح الحديـث ولذلـك فهي مـن الأعمال القر
وكل ما اتمناه أن تكون قريبة من قلوب القراء أيضاً .

غناء النجوم

المنظر ـ (أرض خلاء لايحدها سوي الافق، وشجرة وحيدة، هزيلة، متيبسة الأوراق، تملأ جذعها النتوءات والحروق، تتوسط المسرح، وقد علقت بأعرافها المتيبسة، أرجوحة مصنوعة من الشراشف، بالقرب منها تقف دراجة نارية، ورجل وامرأة يرتديان ملابس السافاري، يتعاونان في طي السرير السافاري أيضاً الذي كانا يستخدمانه في النوم، ومن حولهما صحون وعلب فارغة ومناديل ورق وغير ذلك من أدوات تستخدم في النزهة، يتحدثان وهما يجمعان الأغراض ويهيئان نفسيهما لمغادرة المكان، بعد أن أمضيا ليلة تحت الشجرة. يحتفظ كل منهما بكأس الشاي الممزوج بالحليب، يضعه جانبا ويعود إليه بين فترة وأخرى. يستخدمان الأرجوحة في بعض الأحيان. الوقت صباحاً)

الرجل ـ (يضع السرير الذي طواه في المكان المخصص للأمتعة بالجزء الخلفي من الدراجة النارية، ويعود ليرتشف جرعة من فنجان الشاي الذي وضعه جانبا، ثم يتناول علبة كرتون ويفتحها ويأخذ منها قطعة جاتوه، مستخدما الشوكة) تعالي لكي تذوقيها يا عزيزتي، إنها لاتزال لذيذة. لذيذة جداً. كنت اظن أن بقاء هذه التورتة، ليلة كاملة في العراء سوف يفسدها. (تقترب منه المرأة، فيضع قطعة الجاتوه في فمها)

المــرأة ـ إنها لـن تفسد حتى لو بقيت أسبوعـاً كاملاً، لأن الهواء هنا خال من التلوث الذي يسمم الأطعمـة كما يسمم حيـاة البشر، انظر كيـف يصحو الإنسـان هنا نشطـاً مليئـا بالمرح، والانتعـاش، وحـب الحيـاة. شكراً للصـدفـة التـي جعلتنا نهتـدي إلى هـذا المكان. (تفتح ذراعيها للهواء، وتغمض عينيها وتقوم باستنشاق الهواء شهيقاً، وزفيراً) سأختزن في جسمي كميـة إضافية من هذا الهواء النظيـف، أستعين بها على الحياة في بيئـة المدينـة الملوثـة. إنني لم أنم نوماً جميلاً في حياتي مثل البارحة. كنت أحلم أحلاماً لذيذة. هل أقول لك شيئا وتعدني ألا تضحك.

الرجل ــ قولي، قولي ولا تصمتي أبداً، ولكـن لا تمنعيني من الضحك. فأنا معك أريد أن أضحك وألعب وأنطلق، وأفرغ كل شحنات الحزن والألم والكآبة التي كانت تملأ صدري قبل أن ألتقي بك.

المــرأة ـ هـل تصدقني إذا قلت لك بأنني تصـورت البارحة، أنني أسمع غناء النجوم، وأن غناءها كان جميلاً.

الرجـل ـ طبعاً أصدقـك. إن حياة البشر فوق الأرض، ماكـانت لتستمر لولا هداية النجوم، التي تباشر رعايتها لنا من المهد إلى اللحد. فلمن ستغني هذه النجوم إن لم تغن لامرأة مثلك تضيء وتسطع كما تسطع هي أثناء الليل.

المـرأة ـ كـان اللحن مليئاً بالفـرح، وكانت النجوم تغنـى لي عن الحب، تدعوني لضيافتها، تريد أن تطعمنـي من موائدها الإلهية وتسقيني كأسا من نورها السماوي. سأحاول أن أتذكر اللحن. إنه على هذا

الشكل . (تترنم باللحن ضاحكة وهي ترقص وتصفق . يشاركها الرجل التصفيق والرقص ، ويردد معها اللحن ، ثم يتضاحكان ويرتميان في حضن أحدهما الآخر ويفترقان)

المرأة ــ ما أجمل هذه الأرض الخلاء التي تبدو وكأنها سقطت من ذاكرة البشرية ، فلم يعتن أحد بتعميرها ، وبقيت كما هي منذ اللحظات الأولى لنشأة الكون . لابد أن نعود إلى هذا المكان مرة أخرى .

الرجل ــ إنك أنت صاحبة الفضل في الاهتداء إليه ، أنت التي كنت ترفضين الالتجاء إلى الفنادق أو البقاء في البيوت ، وأردت أن نخرج لقضاء هذه الليلة وسط الطبيعة العارية .

المرأة ـ أردت أن تكون المغامرة كاملة . مغامرة في الحب ، بمثل ما هي مغامرة في الزمان والمكان . ستكون مغامرتنا العاطفية ناقصة مالم نكملها ، بمغامرة الهروب بحبنا إلي الطبيعة التي لاترتدي أي رداء ، ولاتتلون بأي لون ، غير لوني الأرض والسماء .

الرجل ـ ومن حظنا الجميل أن الطقس كان جميلاً طوال الوقت .

المرأة ـ حتى لو كان بارداً عاصفاً ، فإنه ما كان لينقص ذرة واحدة من استمتاعي بهذه اللحظات الاستثنائية ، الهاربة من زمن الروتين والتكرار والتلوث ، ومن ضجر العلاقات المحفوظة المعلبة .

الرجل ـ هذا لأنك امرأة استثنائية بكل المقاييس . لا أدري ماذا سيقول زوجك إذا عاد البارحة إلى البيت . أرجو الا يصنع لك مشكلة .

المـــرأة ـ لوعاد فإنني لـن أعجز عن تلفيق ذريعة لغيابي . ولكنني أعرف أنه لن يعود من سفره قبل نهاية الأسبوع .

الرجل ـ ومع ذلك كنت شديدة الحذر من أن نلتقي في البيت .

المـــرأة ـ ليس خوفاً من عودته ، وإنما مراعاة لمشاعر البيت نفسه .

الرجل ـ هل تقولين مشاعر البيت؟

المـــرأة ـ نعم ، إن البيـوت ليست مجرد حجارة ، إنها نبـض وإحساس ، ومن اللياقـة أن نضع ذلـك في الاعتبار ، وإلا فسـدت العلاقـة بيننـا وبين البيوت التـي نسكنها . أمـا هنـا ، فإن هـذا الخلاء ، بعكس البيـت تماماً . إنه دعوة للتحـرر والانعتاق من كـل تلك الاعتبارات والشروط والقيود والتقاليد التي تراكمت عبر العصور حتى صارت أسوارا تحجـب عن عقولنا وقلوبنا ونفـوسنا الضوء والهواء . (يـدعـوهـا الـرجـل إلي ركـوب الأرجـوحـة ، ويهز بها الارجوحة قائلاً)

الرجل ــ لم تكن حياتي سوى قبو مظلـم قبل أن ألتقي بك . ولـذلك فإن علاقة الحب التي تجمعنا هي بالنسبة لي الضوء والهواء ، ولا فرق بعد ذلك أن ألتقـي معك في غرفة مغلقة ، أو فـوق أرض عارية تباركها النجـوم ، لأن كل مكان تكونين فيـه معي ، يصبح نعيماً أرضياً بالنسبة لي .

المـــرأة ـ جمال هـــذه العلاقـة أن تكون هكذا ، كما هـي الآن . لحظات مسروقة من عمر الزمن الـروتيني . لحظات لاتكرر نفسها ، كما هو الحال مـع علاقـات زوجية خلـت من الإثـارة والمغامـرة .

علاقة تتجـدد بتجدد الأمكنة والأزمنة والمناخـات. لا أريدها أن تتحول إلى روتين. سوف يفقدها الروتين كل أسباب الإثارة والإبهار والتنوع، ويحيلها إلي قالب مـن تلك القوالب الجاهزة، المحفوظـة، التي نـدس فيها رؤوسنـا، ونرهـن لديها قلـوبنا، طلبـا للراحـة والأمان. (تترك المرأة الأرجـوحـة، وتعود لجمـع الأمتعة. يمضي الرجـل أثناء الحديث إلى الأرجوحـة، ويجلس وفي يده تفاحة، يقضمها بين الحين والآخـر، وجسمه يتأرجح ببطء مع حركة الأرجوحة)

الرجل ـ لم أكن أعرف الحب، أو أعرف أن لـه مفعولا ساحراً يحيل حياتنا من النقيض إلى النقيض، ومـن الضجر والنقمة على الحياة، إلى وعـد وأمـل وإقبال على معـانقـة الحيـاة. لعلي كنت سـأدمـن المخدرات، أو أصبح فرداً في إحدي العصابـات، لولم ألتق بك في لحظة باركتها السماء. وما إن رأيتك لأول مرة في منتدي الوعد الجميل حتى أدركت أنك الجزء النـاقص مني، الذي لا تكتمل حيـاتي إلا بـه. فيـاليتـك تتركين الـزوج الغـائب، غـائبـاً إلى الأبد، وتوافقين علي أن نبتني كوخـاً فوق هذه القطعة من الأرض التي هجرها البشر ونقيم هنا إلى آخر العمر.

المـرأة ـ (تترك جمع الأمتعـة وتتقدم لتهز به الأرجوحة) إننـي أحبك بمثل ماتحبني ولو لم أكن أحبك لما جئـت معك إلى هذا المكان ولكنني لا أكـره زوجي، ولا أكـره بيتـي أو عملي. إننـي أكره الـروتين، وسأعود الآن إلى حيـاة العمل والبيت، وأنا أكثر انتعـاشاً وقدرة علي مغـالبة الـروتين. سوف يسعـدني دائماً أن نلتقـي مثل هـذا

اللقاء، مرة كل شهر إذا أردت، فهذا يلائمني أكثر من أي ترتيب آخر. (يترك الرجل الأرجوحة، وينتزع الشراشف من عرف الشجرة. تساعده المرأة في نفضها وطيها ووضعها مع الأمتعة الأخرى فوق الدراجة)

الرجل ـ (وهو ينتزع الأرجوحة) يجب أن نرحل قبل أن تزداد حرارة الشمس ولا ظل يحمينا (يعود إلي مواصلة الحديث السابق) إنني لا أحتمل البعد عنك ساعة واحدة، فكيف سأطيق الصبر على فراقك شهراً كاملاً. ليتني التقيت بك يوماً واحداً قبل الزواج. لو حدث هذا لتغير كل شيء.

المرأة ـ لاتقل هذا الكلام. لأنني كنت أحب زوجي عندما تزوجته. ولكن من يستطيع أن يصدر شهادة ضمان، تضمن بقاء عواطف الحب كما هي، لايلحقها التغيير مدى الحياة.

الرجل ـ لا أدري لماذا لاتتركين ذلك الرجل الذي لم تعد تربطك به أية رابطة غير عقد لامعنى له في سجل الأحوال المدنية. إنني على استعداد لأن أكتب لك شهادة ضمان وأمهرها بدمي، وأجعلها عهداً وميثاقاً بأن حبي لن ينطفيء مدى الدهر.

المرأة ـ إنك تستطيع أن تضمن نفسك، ولكنني لا أستطيع أن أضمن نفسي. كل ما أستطيع أن أقوله، إنني أعيش لحظات مبهجة معك، علي هذا النحو، وأتمنى صادقة أن تتواصل وتستمر، فما الخطأ في ذلك؟

الرجل ـ لا أقول إن هناك خطأ سوى حقيقة أنك امرأة متزوجة.

المـــرأة ـ ومـا الذي يضيرك أنـت في ذلك. إنها مشـــكلتي، وأنا أعـرف كيف أتعـامل معها. لعلـك لاتعلم أن لزوجـي أيضاً علاقـاته النسائيـة، التي لايسافر أو يغيـب عن البيت إلا مـن أجلها.. لقد تخاصمت معه كثيراً حول هذه العلاقات التي كان ينكرها. ولكنني أعـرف أنها موجودة ومع ذلـك فأنا أعذره لأننـي أعرف مايحس بـه من ضجـر وهو يعيـش حياة خـالية مـن الهوايات. خـالية مـن التنوع. إننـي لا أعاني أحـاسيس الإثـم بسبب مـا أفعله، بـالعكس، أحـس أنني وصلـت إلى مصالحة معـه ومع نفسي، كـل ما أتمنـاه أن تبقـي علاقتـي بـك محتفظة بسريتهـا وخصوصيتها، لأن كل شيء سينهار، إذا خـرجت هذه العلاقة عن إطار السرية والكتمان.

الرجل ـ إنني لا أحتمل أن تطير في الهواء كلمة واحدة تسيء إليك. ولهذا فإنني سأطوي قلبي على أسرار هـذه العلاقة، وسأختار دائماً مثل هذه الاماكـن المعزولة لقضاء ليالي الحب التـي ستجمعنا إلى نهاية العمر.

(ينتهيان مـن جمع الأمتعة والأغـراض الأخرى ويقفـان في صمت وكأنهما لايريدان مغادرة المكان)

المـــرأة ـ (بعد لحظة صمت) هل حقا سنترك هذا المكان؟

الرجل ـ نتركه اليوم لنعود إليه في يوم آخر.

المـــرأة ـ نسيت أن أرتدي حذائي. لقد صار هو الآخر قيداً، ما أجمل أن نتحرر منه أحياناً.

(ترتـدي فردة الحذاء، وتبحث عـن الأخرى، بينما يستعد الـرجل لركوب الدراجة . يرتفع صوت رجل من خارج المسرح صائحا)

الصوت ـ قفا مكانكما ولاتتحركـا . (يقفـان وينظران باندهاش، أحدهما إلى الآخر، في حين يعاود الصوت تحذيره)

قفا حيث أنتما، دون حركة .

الرجل ـ ما الذي يقوله هذا الأحمق . ما الذي يريده منا؟

المـرأة ـ (تأخذها المفاجـأة هي الأخري) لعله مجرم يريد بنا شراً . ولكنني لا أرى سلاحاً في يده .

الرجل ـ إنه مجنون بالتأكيد (يصيح باتجاه صاحب الصوت) لماذا كل هذا الصياح؟ تعال هنا وأخبرنا بما تريد .

الصوت ـ أقول قف حيث انت .

المـرأة ـ دعنا نتركه ونمضي . إنه لن يستطيع أن يلحق بنا .

الرجـل ـ ولكـن لماذا يهددنا هكذا؟ (يتحرك باتجاه الصـوت) دعني أفهم منك بهدوء ما هو وجه اعتراضك على . . . .

الصوت ـ (مقاطعـاً) ألا تسـمعني؟ أقول قف . إنك في خطر . أية حركة قد تودي بحياتك أنت والمرأة التي معك .

الرجـل ـ ياللسماء . أين هو هـذا الخطر؟ (يلتفت شمالا ويمينـا) تفضل بالمجيء هنا ودعنا نفهم هذا اللغز.

الصوت ـ خطر. أقـول لك خطـر. وهناك أكثـر من لافتـة تحيط بهذا

ـث تقول بـأنه خطر. إنني لا أستطيـع أن أدخل هذه الأرض
ء لأنها حقل ألغام. حقل مليء بالألغام، مهجور منذ أزمنة
ب. هناك لغم في كل شبر. فهل فهمت؟

ـمـت إلى المرأة ويتبادل معها نظـرة اندهـاش) هل كنـا حقاً
ن الألغام ونحن لاندري؟

، حالـة رعب) إننـي لا أصدق ذلـك. لا أريد أن أصـدق
ـل.

طب صاحب الصـوت) ولكننا دخلنا هذا المكـان، وأقمنا
ـيلة كاملة دون أن يحدث شيء.

شكر السماء على حدوث هـذه المعجزة. الحظ وحده أبقاكما
ء حتى هذه اللحظة. كن حذراً منذ الآن. خطوة واحدة قد
ي عليكما أنتما الإثنين.

ـه يقول ذلك مازحاً. إنه يكذب. يا إلهي. إنها كارثة.

ـثحاً) لقد انتهت الحرب منذ أعوام طويلة مضت. فما الذي
ـ هذه الحقل مليئا بالألغام. لعلك تمزح.

ـي لا أمـزح. وإذا أردت دليلاً فيمكنك أن تنظر خلفك،
ـة حصان جـامح دخل هذا الحقل منذ يـومين فقط، وتفجر
تحت حوافره. لعلك ترى الشظايا أيضاً.

ـمت ليتأكد مما يقـوله صاحب الصوت) أظن فعلاً أنني أري
ا الحصان. أما الشظايا فهاهي تتناثر قريبة من هذا المكان.
ـي. أرى عظاما تلوح في تلك الناحية أيضاً.

المـرأة ــ لا أريد أن أري شيئا. يجب أن نخـرج من هذا المكـان.
نخرج من هذا المكان.

الرجـل ـ لاتفزعـي ياحبيبتي. لاتفـزعي. سنجـد حلاً يخرجنا ،
المأزق (يسأل صاحب الصوت) وما هو العمل الآن؟

الصوت ـ لا أدري ماهو العمل. سأذهـب لإبلاغ شرطة القرية.
قـريبة جـداً لحسن الحظ. إنهم لايملكـون وسيلة لإسع
ولكنهم سيبلغـون المدينة ويسـألونهم عـن حل. سيكـ
صعباً. كونا على حذر. وداعاً.

الرجـل ـ لاشك أن وقتا طويلاً سوف يمضي قبل أن يأتي الحل، ا
أدري كيف سيكـون ولا أدري كيف يمكن أن نحصـل
وطعام أثنـاء ذلك. فقـد يستغرق الأمر أيـاماً. ونحـن
حساباً لغير هذه الليلة التي قضيناها هنا.

المـــرأة ـ (بفـزع) ماذا تقـول؟ هل تقول أيـاماً؟ هنـا؟ وسط هـذ
المرعبة؟ وبين هـذه الألغام والمتفجرات؟ وبجوار هـذه ا
وتحت هذه الشمـس التي ستمطرنا نـاراً بعد قليل؟ هـل
عقلك؟

الرجـل ــ ليتنا نملك وصفـة سحرية تحيلنـا إلى طائرين، حتـي ؛
التحليق والفرار. ولكن لاحيلة لنا.

المـــرأة ـ ألا يمكنك أن تفعل أي شيء؟

الرجـل ـ ليس أمامنا سوى الانتظار.

المـــرأة ـ لقد جف حلقي، أريد جرعة ماء.

الرجـــل ـ لم يعد هناك ماء.

المـــرأة ـ إذن علبة عصير. أي شيء أبلل به حلقي.

الرجـــل ـ (يهز رأسه أسفا)

المـــرأة ـ هل حقاً استهلكنا كل شيء؟

الرجل ـ وهل كنا نقرأ المستقبل لكي نأتى بفائض من الطعام والشراب.

المرأة ـــ إذن فـــإن الهلاك بانتظارنا لامحالة. إن لم يكن بفعل الألغام فبسبب الجوع والعطش. (ترتمي في حضنه وهي ترتعش) إنني خائفة. خائفة.

الرجـل ـــ تذكري دائما أنني معك، وتأكدي أن كل شيء سينتهي علي خير.

المـــرأة ـ إنني لا أخشى الموت، بقدر ما أخشى الفضيحة.

(ينفصلان)

الرجـــل ـ دعي عنك هذه الأفكار السوداء. لن يكون هناك موت ولافضيحة.

المـــرأة ـ لاتنس أنني امرأة متزوجة. الفضيحة قادمة دون شك.

الرجـل ـ يجب أن نفكر في حل يخرجنا سريعاً من هذه الورطة. لعلنا نستطيع أن نقتفي أثر الدراجة عندما دخلنا (ينظر إلى آثار العجلات ثم يتأفف في ضجر) هناك مناطق كثيرة اختفي منها

أثر الدراجة. لقد كتب علينا البقاء حتى يأتي الإنقاذ. سيكون الانتظار صعباً.

المرأة ـ لا أدري كيف سيكون أثر الصدمة على زوجي عندما يعرف بأمر خيانتي له. إنني أخاف أيضاً على أبي المريض، فهو يفاخر دائما بأصالة بيتنا وانتسابنا إلى سلالة ملكية منقرضة. إن خبراً كهذا سيقضي عليه.

الرجل ـ إذن فأنت ممن تجري في عروقهم الدماء الزرقاء. إن هذا يفسر كل شيء.

المرأة ـ يفسر ماذا؟

الرجل ـ يفسر شخصيتك الآمرة الناهية ومزاجك الذى يحب التنويع والإثارة. لاغرابة في أن تصطفيك النجوم، وتختارك صديقة تناجيها وتغني لها.

المرأة ـ وهل هذا هو الوقت المناسب للسخرية والمزاح.

الرجل ـ إن ما أقوله ليس سخرية ولا مزاحاً، إنني أصدق أنك سليلة بيت ملكي. وأنا فخور بذلك دون شك. ولكن الوقت والمكان، لايسمحان بالاحتفاء والاحتفال بهذا السر الذي تكشفين عنه لأول مرة.

المرأة ـ أرجوك، اسخر كما تشاء، دون أن تجعلني موضوعاً لسخريتك.

الرجل ـ إنه مجرد حديث لتمضية الوقت. ألا تجدينه صعباً ومضجراً هذا

الانتظـار، في مثل هـذا المكـان حيـث لاشيء يجاورنا غير هـذه الشجرة؟ .

المـــرأة ـ وهذه الألغام . لاتنس .

الرجل ـ قلـت الشجرة بأمل أن نعيد سيرة الإنسان الأول عندما كان ينام بين الأغصان . سيكون ذلك أكثر أمانا .

المـــرأة ـ (وهي تـرفع رأسهـا تتـأمل أعـراف الشجرة) يجب أن يتحـول الإنسان إلى سنجاب قبل أن يستطيـع أن ينام بين هذه الأغصان الميتة .

الرجـــل ـ ربما نـرمـي فوقهـا رداء ، يصنع لنـا ظـلاً، يحمينا مـن ضراوة الشمس عند القيلولة .

المـــرأة ـ ها قد بدأت تفكر أفكاراً عملية .

الرجـل ـ إننـي مازلت حـائراً لا أفهم هذا الـذي حدث . لقـد استطعنا الدخـول إلي هذا المكان وقضينـا كل هذا الـوقت نركـض ونلعب ونتحرك بمنتهي الحرية ، دون أن يحدث شيء . ثم يأتي رجل أحمق ليقول لنا إننا نمشي فوق حقل من الألغام وإن أي خطوة نخطوها ستجلـب لنا الهلاك . والسـؤال هو، لماذا لم تتفجـر هذه الألغـام ونحن نجـري فوقهـا؟ . . إنها لم تتفجر، لأننـا لم نكن نعبـأ بها أو نعرف عنها شيئاً . لقد أسقطناها من حسابنا ، فأسقطتنا هي أيضاً من حسابها وتركتنا وشأننا . إنني على يقين بأننا كنا سنخرج سالمين كما دخلنـا ، لـو لم يأت هـذا الـرجـل ويزرع بكلماتـه الألغـام في قلوبنا .

المرأة ـ ما أكبر غفلتي وأنا أظن أن هذه الأرض الخلاء قد سقطت من ذاكرة البشرية، لأكتشف الآن أن البشرية لم تنسها أبداً. لقد اعتنت بها أكثر من أي مكان آخر. لأنها أودعت في جوفها أعظم إنجازات الرعب والهلاك.

الرجل ـ إنها فخاخ للموت، ينصبها إنسان لكي يصطاد بها إنسانا آخر، تمشيا مع لعبة اسمها الحرب. وها نحن في وقت السلم، وبعد انقضاء أعوام طويلة على انتهاء الحرب، نقع في هذا الفخ. سامحكم الله أيها الأسلاف الموتى.

المرأة ـ لا أدري لماذا جئت بنا إلى هذا المكان اللعين، وكأن الأرض ضاقت بالأماكن المريحة الآمنة.

الرجل ـ إنه لم يصبح لعينا إلا الآن. أنت تنسين إنك أنت السبب. عرضت عليك أن نبقي لقضاء الليل في الأماكن التي تسمينها مريحة وآمنة ولكنك أردت أن تذوقي طعم المغامرة.

المرأة ـ وهل لك عين تلومني بعد هذه التضحيات التي فعلتها من أجلك. لقد أسلمت نفسي لك، ووضعت ثقتي فيك. فماذا كانت النتيجة؟ إنك لم تر حتى اللافتات المنصوبة على الطريق، تحذر من دخول هذا الخلاء.

الرجل ـ ألست أنت من كان يدفعني لأن أقود الدراجة بأقصى سرعة ممكنة؟ بل كنت تريدين سرعة أكثر من سرعتها القصوى. فكيف أستطيع بعد ذلك أن أتمهل وأقرأ اللافتات؟ كنت تفعلين ذلك طلبا لمزيد من الإثارة، فلماذا تندمين الآن؟ لماذا لاتستمتعين بهذه الإثارة التي لاتعادلها إثارة في الدنيا.

المـــرأة ـ إنني لا أتصور كيف سأبقي معك ساعة واحدة بعد الآن .

الرجـل ـ يمكنك أن تغادري هذا المكان ، فلا أحد يمنعك .

المـــرأة ـ سأذهب على الفور. احضر لي فردة حذائي التي ترتمي هناك .

الرجـل ـ لعلها فـردة حذاء سـاندريلا ، التـي ستنقلك في لمح البصر إلى قصر أجـدادك الملكي . مـا أفلحـك وأنت تظنين أن اللغـم إذا انفجر سيصيبني وحدي . إنه سيصيبك أنت أيضاً .

المـــرأة ـ كم كنت غبية ، غافلـة عن الهناء الذي كان يملأ حياتي لأندفع وراء مغامرة لم تجلب لي إلا المهانة والشقاء .

الرجل ـ كنت فقط تستخدمينني لإرضـاء نزوة من نزواتك . لم يكن حبك لي حبا وإنما استغـلال . إنني أنـا الغبي الـذي رضى بـأن يكون خادمـا لرغباتـك وإضفاء عنصر التجـديد على حياتـك المملة الفارغة .

المـــرأة ـ وماذا عـن حياتك أنـت؟ لماذا تبدو غـامضاً ، كتومـا ، لاتبوح بشيء من أسرار حيـاتك وعلاقاتك . إنني لسـت غبية إلى هذا الحد ، أو غـافلة عـن خـداعك لي ، وعـلاقتـك بتلك الأرملـة البدينة ، الدميمة ، الثرية .

الرجـل ـ وهل تحسبينـه خداعا ، أن تكون هنـاك أمراة أخرى ، أعـرفها ، وألتقي بها بين الحين والآخر. لقد عرفتها قبل أن ألتقي بك .

المـــرأة ـ وهل أنهيت علاقتـك معها ، أم إنك بقيت محتفظاً بها ، طمعاً في الثروة .

الرجـل ـ ها أنت تعترفين بأنك تعلمين كـل شيء عن علاقتي بها ، فأين الخداع إذن؟ وإذا كنت قـد واصلت علاقتـي بها ، فما ذلك إلا لأنك ترفضين أنت أيضاً أن تفكي ارتباطك الزوجي من أجلي .

المـرأة ـ كنت واضحة معك منذ البداية .

الرجـل ـ وأنـا أيضاً كنت صادقـا في رغبتي ، أن أنهي أية علاقـة أخرى ، لأبقى معك .

المـرأة ـ هل أنت تحبها حقاً؟

الرجـل ـ إنها تحبني . أنا واثق من ذلك ، ولا تريد شيئا في الدنيا سوي أن تبقى معي .

المـرأة ـ أمـا أنت فـإنك لاتحب أحـدا سوى نفسـك . تريـدني للنزهـة والتسلية وتريدها هي من أجل الثروة .

الرجـل ـ لعلي ظلمتهـا وظلمت نفسي عندمـا ذهبت أركـض وراء حبك الذي لم يكن إلا سراباً .

المـرأة ـ يمكن أن تعـود إليهـا وتـرضي طمـوحـك بالانتقـال إلى طبقـة الأغنياء .

الرجـل ـ لعل هـذا ما يجب أن أفعله . انتهز الفرصة أنـا أيضاً وأحاول أن أطفو فـوق سطح الدنيـا بدلاً من البقـاء في القاع . هذا هـو ما يفعله كل الناس في هذا الزمان .

المـرأة ـ لقد تأخر بـك الوقت ياعـزيزي . لقد فقدتني وستفقـدها هـي أيضاً عندما تعرف خداعك لها . إنك تلعب لعبة خاسرة .

الرجـل ـ (بعد لحظـة صمت) ما الذي جاء بنا إلى هنـا؟ إن هذه الألغام سوف تفسد كل شيء.

المـرأة ـ إنك أنت المسئول عن وجودي في هذا المكان، وعليك ان تعيدني الآن إلى المكان الذي اخذتني منه.

الرجـل ـ الآن، الآن؟ إنـك متفائلـة كثيراً ياعـزيزتي، حتـى لو أمكنـك الخروج من هنا، فليس قبل أن تسمعـي غناء النجوم لعدة ليال قادمة.

المـرأة ـ أيـة نجوم هذه؟ هـل صدقت أن النجـوم تغني؟ لم يكـن ذلك سوى أضغاث أحلام.

الرجل ـ إنك أنت من قال هذا الكلام. إنها تغني وترقص وتتكلم وتعرف أسرار البشر، وإلا ما استخدمها المنجمون لمعرفة المستقبل وقراءة المجهول. إنني أستغرب كيف لم تخبرك بـالخطر الذي يحيط بنا. لقد خـدعتك النجوم. وهـاهي تختفـي من سمائها لتتركـك مع الرعب والألغام.

المـرأة ـ ومعك أنت، وهذا أكثر قسوة من رعب الألغام. أريد فعلاً أن أعـود إلي بيتـي فـلا أتـركـه ولا أتـرك زوجـي إلى الأبـد. ولكـن الفضيحة شيء فظيـع. لا أدري ماذا أفعل إزاء هـذه الفضيحة ستأتي الشرطة، ومحاضر التحقيق، وسيعـرف زوجي كل شيء. إن العطش يحرق حلقي، أريد ماء (تلتقـط علبة مشروب فارغة وتـرمي بها) إنـك أنت السبـب في كل هـذه المصائب. أرجـوك دعني وشـأني. أريد أن أبقـى قليلا مـع نفسي. أريد أن أكـون

وحدي . ألا تسمع؟ أريدك أن تتركني بمفردي . لا أستطيع التفكير وأنت معي .

الرجل ـ (يضحك ساخراً) وإلي أين تريدينني أن أذهب .

المرأة ـ إلي الجحيم إذا أردت .

الرجل ـ وهل هناك جحيم أكثر من هذا الجحيم الذي يحيط بنا .

المرأة ـ حسنا سأذهب أنا إذن .

الرجل ـ لاتنسي أن تقفلي الباب وراءك .

المرأة ـ (تندفع في حين يحاول الرجل إيقافها . تمضي خطوتين وتقف متجمدة في مكانها) أحس أن شيئاً يتحرك تحت قدمي . إنقذني أرجوك . إنه اللغم . أريد إنقاذا سريعاً .

الرجل ـ (يقفز ويختبيء بجذع الشجرة) لاترفعي قدمك : قفي حيث أنت . إذا رفعت قدمك فسوف يتفجر اللغم . لاتتحركي . تأكدي جيداً . لعلك واهمة . لعله ليس لغما . وإنما خنفسة تتحرك تحت قدمك . انظري جيداً .

المرأة ـ إنه لغم بالتأكيد . إنه يصدر أزيزاً . أرجوك تحرك . أفعل شيئاً . أدركني قبل أن يمزق جسمي الانفجار.

الرجل ـ وماذا أستطيع أن أفعل؟ ليس بإمكاني أن أفعل شيئا . قفي حيث أنت .

المرأة ـ أسرع واحفر بأظافرك حفرة خلفي أرتمي بها ، لكي لايتفجر اللغم في جسمي ثم عد للاحتماء بالشجرة .

الرجـــل ـ إن قـدمي لاتسعفانني للقيام بأية حركـة . ابقى كما أنت حتى يأتي رجال الشرطة .

المـــــرأة ـ (ترفع رجلهـــا دون أن يحـدث شيء ، وتعــود إلى مكانها تحت الشجرة) كنت فقط أختبر شهامتك . هيا أخرج من مخبئك أيها الجبان . فلن يحدث شيء لإنه لم يكن هناك أي لغم .

الرجـل ـ (يعود إلي مكانه بجوار المرأة) يالـه من مزاح ثقيل . كان يمكن أن يكون حقيقة فتقتلى نفسك وتقتليني معك .

المـــرأة ـ وكيف تريدنـــا أن نقضي زمـن الانتظار. إن مزاحا كهذا يفيدنا كثيراً. لأنه يجعلنا نعرف بعضنا أكثر فأكثر.

الرجـل ـ تعرفين أن للحظـة الخطر منطقها الخاص، حيث تغيب الإرادة الواعية ، ولاتبقى سوى غريزة المحافظة على الذات .

المـــرأة ـ يـاله من صدق تحسدك عليه الملائكـة . لا أدري كيف لاتخجل من نفسك؟

الرجـل ـ ما معني هذا الكلام؟

المـــــرأة ـ معناه أننـا هنا في هذا المكـان لمجرد أن هناك ألغامـا تحاصرنا، لأنني لا أريد أن أرى وجهك بعد اليوم .

الرجـــل ـ لـلأسـف فإنـك سترينه كثيراً هـذه الأيـام . لأنه لاوجـه غيره أمامك . وستكون هناك مناسبات كثيرة تجعلك تغيرين مشاعرك نحوي . هيا دعي الابتسامة تعود إلى وجهك .

المـرأة ـ نعـم، ابتسـامة تليق بهذا البـلاء . ليتني أجد قطرة ماء واحدة، فالعطش سوف يقتلني قبل أن يأتي الإنقاذ .

(يأتي صـوت الرجـل الذي يتكلـم مـن خارج المسرح مصحـوبا بضجيج الجمهور ممن جاءوا معه لمشاهدة ماحدث)

الصوت ـ أنتم يا من هناك .

(الرجل والمرأة يقفان وينظران إلى مصدر الصوت والضجيج)

الرجـل ـ ها هو الرجل قد عاد لعله جاء ومعه فريق الإنقاذ .

المـــرأة ـ ستنتهي محنتنا إذن . شكراً للسماء .

الصوت ـ لقد أبلغـت الشرطة وهـم يواصلون اتصالهم مـع العاصمة طلبا لـلإنقاذ . معـي عـدد من رجـال الإعـلام يـريدون التحـدث إليكما .

المـــرأة ـ يا إلهي . انظـر إلى هذا الحشد من البشر . رجال ونساء وأطفال وآلات تصـوير . إنهم يتفـرجون علينـا وكـأننا حيـوانات داخـل القفص .

الرجـل ـ بدلاً من فـريق الإنقاذ، يـأتي إلينا فريق الإعـلام . لاشك أنهم سيفـرحون كثيراً لـو رأوا لغما يتفجـر تحت أقـدامنا وتمكنـوا مـن تصويره صوتا وصورة . ستكون خبطة إعلامية عالمية .

المـرأة ـ إنها الفضيحـة . إنني امرأة ساقطة . هذا ما سيقـوله العالم عني . (تخفـي وجهها بين يـديها ثـم تديـره بـالاتجاه المعـاكس لمصـدر الصوت قبل أن ترفع يديها عن وجهها)

صوت المذيع ـ نرجو من السيدة أن تدير وجهها نحونا فقد بدأنا التصوير. تكلما بصوت مرتفع حتى ننقل المشهد كاملاً بالصوت والصورة . نريد بعض المعلومات .

الرجل ـ (صائحا) نحتاج إلى إنقاذ سريع . ليس لدينا ماء ولاطعام يساعداننا على الانتظار.

صوت المذيع ـ سوف نرغم الحكومة على التدخل بأقصى سرعة ممكنة . ستكون قضية كبيرة تثير الرأي العام وتلهب خيال المتفرجين . ساعدونا بالمعلومات . من أنتما . ومن أين جئتما وماذا تفعلان في هذا المكان؟

المرأة ـ يا إلهي ، ما أبشع هذه الأسئلة .

الرجل ـ نزهة . جئنا هنا في نزهة .

صوت المذيع ـ أتمنى أن تكونا قد حصلتما على نزهة ممتعة .

المرأة ـ عن أي متعة يتكلم . إنه يسخر منا . إنه يهزأ بنا . لماذا لاترد عليه؟

صوت المذيع ـ لقد قرأتما اللوحة التي تحذر الناس من دخول هذا المكان . فهل أنتما عاشقان ، تريدان الانتحار بوسيلة جديدة ومبتكرة ، لم يكتشفها العشاق المنتحرون من قبل؟

الرجل ـ لم نر اللافتة ولم نقرأها . لم نكن نعرف أنه حقل ألغام .

المرأة ـ لماذا لم تقل له إنه هو الذي يدفعنا الآن إلي الانتحار بهذه الأسئلة السخيفة .

صوت المذيع ـ إذن فقد كنتما تجهلان طبيعة المكان. حسبتماه مكانا بريئا فإذا به حقل ألغام. هكذا تبدأ القصص دائماً. كل القصص العظيمة. بما في ذلك رحلة الإنسان في الحياة. سأقول كل هذا عند قراءة التعليق. والآن فإننا نريد أن نرى وجه السيدة. سوف يتعاطف معها الجمهور وهو يرى أثر الدموع في عينيها. نريد أن نعرف من أنتما على وجه التحديد. وماذا تعملان في الحياة.

الرجل ـ لا أهمية لذلك لاعلاقة له بموضوعنا. اننا عطشانان ولا ماء لدينا. افعلوا شيئا لإسعافنا.

صوت المذيع ـ ستكون القصة ناقصة إذا لم ننقل للمتفرج من ومتي وأين وكيف ولماذا. المتفرج يجب أن يعرف كل شيء. فاخبرني بسرعة من أنتما وماذا تعملان في الحياة.

المرأة (للرجل) لاتقل له شيئا يكشف حقيقة شخصيتي.

الرجل ـ إنني محصل بشركة الكهرباء، يقرأ عدادات النور.

صوت المذيع ـ والسيدة؟

الرجل (للمرأة) سأختار لك مهنة وهمية (بصوت مرتفع) إنها بائعة بمتجر للعطور.

صوت المذيع ـ شيء رائع. النور والعطور. ياله من تجانس وتناغم، لاشك أنكما متزوجان.

الرجل ـ صديقان. مجرد صديقين.

صوت المذيع ـــ إذن فهي مغامرة عـاطفية . نريد ان نـراكما في وضع أكثر حميمية . سيكون لذلك تأثيره البالغ الذي سيبقى خالدا في أذهان المتفرجين . مشهد غرامي وسط حقول النار .

المـــرأة ـ قل له ان يرحل من هنا قبل ان أبحث عن لغم ارميه في وجهه .

صوت المذيع ـ جئنـا هنا لكي نقدم لكما المساعدة وننقـل مأساة وجودكما هنا إلى الرأي العام .

المـــرأة ـ انهم هم الـذين يصنعون لنـا المأساة . يصنعون لنـا الفضيحة . ليتهم يختفون .

الرجل ـــ لقد وصلت روحي إلى حلقي . لا أعرف كيـف أعبر عن غيظي من سخف حديثه واستجوابه .

صوت المذيع ـ ما الذي تريدان ابلاغه للرأي العام .

الرجل ـ نـريد ان نخرج سريعاً من هذا الحقل الملعـون ، نريد ان نعود إلى بيوتنا . .

صوت المذيع ـ كل هذا سيحدث . وماذا أيضاً .

الرجل (للمرأة) ومـاذا أيضاً . هل أقول له انني اريـد ان اتبول ولكنني لا أستطيع ان افعلها تحت مراقبة آلات التصوير .

صوت المذيع ـ لم نسمع صوت السيدة . فما الذي تـريدين إبلاغه للأهل والاصدقاء ، ياسيدتي .

المرأة (للرجـل) انه يـريدني ان أعلـن فضيحتي للعـالم . اخبره انني امـرأة بكماء لاتتكلم . لقد تخشب جسمي كله . اريد ماء .

الرجـــل ـ السيدة متعبة . العطـش أفقدها القـدرة على الحديث . ليتكم تستطيعون تدبير بعض الماء لنا .

صوت المذيع ـ هل نستطيع أن نعـرف ما الذي رأيتماه وسمعتماه أثناء هذه النزهة . أي شيء طريف يبهج المتفرجين .

الرجـــل ـ ليتكـم أرسلتم لنا السيرك القـومي قبـل تشريفكم لنـا ، لكي تكون فرصة لإخباركم بما رأيناه وسمعناه من طرائف .

صوت المذيع ـ إنـك لم تفقد روح الدعابة رغم المأسـاة . ومع ذلك فإنهم يقولون بأن ضحايا الحرب يقـومون ليلاً ويصدرون أصواتاً تملأ هذا المكان . فهل سمعتما هذه الأصوات أو رأيتما هذه الأشباح .

المرأة (للرجل) إنني لا أبالي بحصار الأشبـاح ولا حصار الألغام . كل ما أريده أن يختفي هذا المذيع ومن معـه من مصورين وفضوليين . لابد أن نطـردهم فـوراً من هذا المكـان . إننا لسنـا مادة للفـرجة والسخرية . افعل شيئاً أرجوك .

الرجـل ـ (للمذيـع) لاشك أننا سوف نسمـع ما تقولـه الأرواح في الليالي القادمة . أما البارحة ، فإننا لم نسمع شيئا سوي غناء النجوم .

المرأة (للـرجل) مـا هـذا الذي تقـوله أيها الأحمق . أسـألـك أن تطردهـم فتحدثهم عن النجوم .

صوت المذيع ـ هل قلت غناء النجوم .

الرجل ـــ نعم ، تلك التي في السماء . تلك النجوم التـي لانراها الآن لأنها

تجيد لعبة التنكر والاختفاء، كما تجيد العزف والغناء. لقد أسمعتنا غناء جميلاً ليلة البارحة.

صوت المذيع ـ سيكون ذلك شيئاً مثيراً وجديداً. سيكون شيئا ممتعاً للمشاهدين أن يعرفوا طبيعة هذا الغناء. فهل تستطيع أن تعيد لنا هذا اللحن الذي غنته لكما النجوم.

الرجل ـ كانت النجوم تغني هكذا (يغني ذات اللحن الذي سبق أن دندنت به المرأة)

المرأة ـ هل فقدت عقلك؟ (يواصل الرجل الدندنة)

صوت المذيع ـ هل يمكن أن ترفع صوتك أكثر حتى يصل إلى ناقل الصوت. نريدك أن تغني بصوت مرتفع. ليت السيدة أيضاً تغني معك.

الرجل (للمرأة) لاتكوني سلبية هكذا. يجب أن نكرم هؤلاء االضيوف الذين جاءوا لخدمتنا. هيا شاركيني الغناء كما أمر السيد المذيع. سنمنحهم الخبطة الإعلامية العالمية التي يريدونها.

(يدندن اللحن بصوت مرتفع وتشاركه المرأة أيضاً. يغنيان لحنهما بطريقة عصبية، وهما يرقصان ويتشنجان. يتركان مكانهما ويتجهان رقصاً فوق حقل الألغام، صوب مصدر الصوت. ترتفع من خارج المسرح صيحات الرعب والخوف والتحذير)

أصوات من خارج المسرح ـ قفا حيث أنتما. إنه الجنون. ستتفجر فيكما الألغام وسنهلك نحن أيضاً معكما. إننا نتوسل إليكما أن تكفا

عن هذا الرقـص. لم يعد أمامنا مجال للهرب والنجاة. قفـا بالله عليكما. إنه الانتحار. إنه الجنون. ستقتلاننا جميعاً.

(يرتفع صراخ المجموعة التي خارج المسرح مختلطاً بغناء الرجل والمرأة)

(يسدل الستار ويستمر الصراخ مختلطاً بالغناء)

زائر المساء

(مسرحية من فصل واحد)

(غـرفة الاستقبـال في بيـت إحدي سيـدات المجتمـع ببلد في أوروبـا الغربية حيث الصـالون والمدفـأة . . ومنضدة صغيرة فوقهـا مزهـرية . . الوقت مساء . شعاع من الشمس الغاربـة ، يأتي عبر نافذة بالخلف . من خلال النافـذة تظهر حديقة البيـت خضراء مزهرة . . ترفـع الستارة فنري (الخادمة) وحدها على خشبة المسرح تفرغ منافض السجائر، وترتب أثاث الغرفة . . وتغني لنفسها الأغنية التالية) :

الخادمة : (تغني)

عالياً تطير أيها النسر

عالياً أنت تطير

هل أعرتني جناحيك

لأقول تسبيحة حب صغيرة

إلي أغلى الرجال لدي

في مكانه العالي

في سمائه البعيد .

حيث يتداخل الظل بالضوء . . والضوء بالظل .

السيدة : إنك لاتصمتين لحظة عن الغناء لهذا النكرة الذي تحبين ، ناسية أن تشعلي النور كما طلبت منك . لاتتعبي نفسك . . فلن تكون بك حاجة للصعود إليه إنه الآن في منتصف الطريق هابطاً إليك .

لابد أن شمس الربيع قد أذابت سحابة الشتاء التي اختارها ملجأ له . . وسنسمع عما قريب صوت ارتطامه . . فوق سطح هذا البيت ربما (تضىء النور)

الخادمة : الشمس لم تغرب بعد ياسيدتي . . كيف نضئ النور والشمس مازالت تغمر الدنيا؟

السيدة : إن هذا كمين للظلام ، ألا تفهمين يا مارثا ، إنه خطوة أمن احتياطية أتخذها ضد هجوم الظلام المفاجئ . . إنني أخشى الظلام هذا المساء يامارثا . . أخشى الظلام . ستختفي الشمس عما قريب في مياه البحر المالحة ، وسيستيقظ من نومه حيوان الظلام الخرافي . . لهذا فإن كل أنوار البيت يجب أن تضاء قبل أن يصل زاحفاً بأطرافه الأخطبوطية داخل حجرات البيت . . مغرقاً كل شيء هنا في الهواء الأسود الذي ينفثه (لحظة صمت) .

مارثا هلا أشعلت شجرة عيد الميلاد أيضاً .

الخادمة : ماذا تقولين ياسيدتي؟ هل ذكرت شيئاً عن شجرة عيد الميلاد؟

السيدة : قلت أوقديها . . مارثا . .

الخادمة : ولكن . . سيدتي . تفصلنا عن عيد الميلاد أشهر عديدة مضت . . أو بالأحرى أشهر عديد تأتي

السيدة : إنني فقط أريد أن أرى شجرة عيـد الميلاد مضيئة هذا الليلة . . أريد أن يغمر البيـت الكثير من الضوء . . لعل هذا يـزيل قليلاً من الكآبة التي أحس بها تحط في قلبي هذا المساء .

الخادمة : أمر سيدتي . . (تخرج إلى حجرة داخلية) .

السيدة : هل رأيت أزهاراً أحضرتها من الحديقة منذ قليل .

الخادمة : (من خارج المسرح) إنها هنا في المطبخ .

السيدة : أحضريها معك .

(تحضر مارثا باقة الأزهار وشجرة عيد ميلاد متوسطة الحجم) .

السيدة : (وهي تنظر إلي شجر عيد الميـلاد) إنها مليئة بالغبار . . انفضيها قبل إشعـالها . (تتحرك السيدة نحو إنـاء الزهور لتضـع الأزهار الجديدة مكان الأزهار الموجودة بالإناء)

الخادمـة : (تغني بصـوت خافـت مقطعاً مـن أغنية الاستهـلال في حين تنفض الغبار عن الشجرة . . ثم تستدرك قائلة) . . بعد قليل سيطرق الباب ، مثل عادته دائماً .

السيدة : نعم ، إنه سيأتي ، ما إن تغيب الشمس حتى يظهر هو.

الخادمة : كما لو كان يأتي راكبـاً شفق الغروب . مع مجئ الشفق يجيء . . ما حاد يـوماً عن موعده أو غير يـوماً من الطريقـة التي يدق بها باب البيت .

السيدة : إنه أبداً لايخشي الظلمة .

الخادمة : ربما هو يخشي النور.

السيدة : لابد أنه قد مل هذا الطرق اليومي على باب بيتنا .

الخادمة : إنني أتساءل أحياناً عن السر في أنه لا يستعمل الجرس أبداً . . إنـه فقط يـأتي ويدق البـاب بـرفق وهـدوء . . تاك . . تـاك . . تاك . . في إيقاع منتظم ورتيب كأنما هو شفرة سرية .

السيدة : كان في صباه يعزف البيانو . . كان عزفه أشبه بالسحر . . بحيث يغوى قلوب البنات الصغيرات فلاتخفق إلا له .

الخادمة : ثلاث مرات . . إنه أبداً لايـدق على باب البيت أكثر من ثلاث مرات ، وعندما لايسمع جواباً يعـود . . تاركاً وراءه صمتاً غريباً شفافاً . أكاد أراه من خـلال وقع قدميه وهما تضربان الأرض . . وأسمع خطاه وهي تذوب في البعيد .

السيدة : إنه ناضـج الآن بالدرجة التي يعرف معها أن أربـع طرقات هي أكثر مما يلزم .

الخادمة : لقـد فكرت فيه دائماً بـاعتباره . . شابـاً وسيماً وصغير السن . . شعر كثيـف وملامح دقيقـة كملامح الأطفـال . . وبالرغـم مما أسمع عنه فإني احتفظ له في قلبي بصورة مشرقة زاهية .

السيدة : إنه أكبر سناً ممـا تظنينه يامارثا . . إنني أحـرص كل يوم علي أن أرى صفحة الحظ في جـريدة المساء وأقرأ مـا تقوله النجـوم أمام تـاريخ ميـلاده . . وهذا في الحق هـو مصدر معلـوماتي الـدائم عنه . . فمنه أعرف تماماً ما يعانيه وما يمر به .

الخادمة : لقد مضي الآن مـايقرب من عام منذ أن بـدأ في المجيء إلي باب بيتنا . . ومنذ ذلك الحين لم يفشل يوماً واحداً في أن يؤدي طرقاته

اليـومية . . حتـي في أقصي عنفـوان الشتاء بـأمطـاره وثلوجـه لم يتوقف عن المجيء . . أو عن طرق الباب . . إن المرء ليحتاج إلى طـاقة جبـارة مـن الإصرار لأن يفعل ذلـك بنفـس هـذه الدقـة والمثابرة .

السيدة : لقد كان طوال عمره عنيداً .

الخادمة : هل قرأت ما تقوله النجوم عن حظه اليوم . .

السيدة : لم أفعل بعد؟

الخادمة : أي الأشهر هو؟ (تلتقط الجريدة من منضدة قريبة)

السيدة : إبريل

الخادمة : وأي الأيام هو يوم ميلاده؟

السيدة : لاتشغلي بالك بهذا . . اتركي الصحيفـة جانباً واهتمي بتنظيف الشجرة .

الخادمة : إنها لاتأخذ مني دقيقة . . أي الأيام في شهر إبريل؟

السيدة : الرابع عشر.

الخادمة : (تتمعن في الجريـدة) سيدتي . أليس اليوم هو الـرابع عشر من إبريل .

السيدة : (بدهشة) ماذا تقولين يامارثا .

الخادمة : نعـم . . إنه اليوم . . (بسعـادة) إذن اليوم عيد ميـلاده . . عيد ميلاده يا سيدتي .

السيدة : (بعد لحظة تفكير) كأنني كنت أدرك هذا . . إحساس غامض دفين كان يلازمني طيلة المساء . . كأنني كنت أعرف . .

الخادمة : (بكآبة مفاجئة) إذن فهو لن يأتي اليوم مع غروب الشمس . . لن يدق كما هي عادته كل يوم باب بيتنا . سنفتقده إذن هذا المساء .

السيدة : لماذا؟ لماذا تقولين إنه لن يأتي اليوم؟

الخادمة : بالتأكيد . . سيذهب ليحتفل بعيد ميلاده في مكان ما . . لن يجد وقتاً ليأتي، خاصة وهو يعرف أن أحداً لن يفتح له الباب . . أو يقول «عيد ميلاد سعيد» على الأقل .

السيدة : سيكون هنا تماماً في الموعد المحدد . . اذهبي وضعي الإناء فوق النار . . وأعدي المائدة لشاي المساء . . فأنا أشعر بأنه سيكون ضيفنا هذه الليلة . .

الخادمة : هل معني ذلك أنك ستسمحين له بالدخول إلى البيت إذا جاء . . أرجوك يا سيدتي لاتفعلي هذا . . إنها مجازفة كبيرة، لا أحد يدري عواقبها، أنت تعرفين مدى خطورة الرجل .

السيدة : إنه لايبحث عن المتاعب . . إنه رجل يبحث عن مخبأ .

الخادمة : ولكن كيف تستقبلين في البيت مجرماً . . هارباً، تطارده سلطات الأمن في كل مكان . . إن لديك اسمك الطيب واسم المرحوم زوجك . . وأن تضعي في الاعتبار سمعة «ملاجئ الأيتام» التي تشرفين عليها . . فكري في كل مايمكن أن يجلبه هذا من تأثير سيء على المكانة الاجتماعية التي تحتلينها والشركة التي ترأسينها . . لاتنسي مسئولياتك الكبيرة ياسيدتي .

السيدة : فعلاً لقد حان الوقت لأن أعي مسئولياتي .

الخادمة : ثمة شيء آخر . . لـو تسمحين له بالدخول اليوم فـإنه يكون قد حقق غرضـه ، ولن يأتي بعد ذلك ليطرق البـاب أبداً ، وستكون حياتنا شيئاً لايطاق بدون دقاته اليومية . لقد صار مجيئه جزءاً من طقـوس المساء . . يضيـف لـوناً ونكهـة لأمسيـاتنا . . إننـي لا أستطيع تخيل أمسية تمر دون دقاتـه الحميمة فوق باب البيت . . إنك لن تضحى بهذا أيضاً .

السيدة : مـن أدراك أنه لن يتوقـف عن المجيء وهـو لايجد غير الصدود طيلة عام كامل .

الخادمـة : إنك تخطئين يـاسيـدتي . . أنا على ثقـة مـن أنه يستمتـع بهذا الصـدود . . فلقـد صار المجئ إلى بـابنـا عادة محببـة إلي قلبـه لايستطيع تركهـا . . يجئ ليطرق الباب ثم يعود كـأنها هي طبيعة الأشيـاء أرادت ذلـك . . فدعـي الأمـر كما هـو يا سيـدتي . . لاتتـدخلي فيما أرادته الطبيعـة كي لايختـل الميزان . . لا تفتحـي الباب الآن ياسيدتي إذ إنه لامعنى لأن تتركيه بالخارج عاماً كاملاً ثم تأتي الآن وتفتحي له الباب .

السيدة : أنـا ملزمـة بأن أفتح لـه الباب يا مـارثا . . لا أستطيـع أن أبقيه خارج البيت لمجرد التسلية .

الخادمة : أأنت حقاً ملزمة بأن تفتحـي له الباب يا سيدتي؟ وإذا لم يأت اليوم . إذا ذهب محتفلاً بعيد ميلاده في مكان ما .

السيدة : إنه سيأتي، وسيحتفل بعيد ميلاده هنا . . (لحظة صمت) ذلك أنه يعرف أن الميعاد قد حان لأن يفتح له الباب .

الخادمة : إنـه يهددك إذن ياسيدتي، لابـد أن يهددك بطريقة مـا . . كنت على ثقة من أن مجرماً مثله لابد وأن . .

السيدة : (تقاطعها) سيكون ضيفنا على الشاي هذا المساء . . ضعي على المائدة أكواباً فضيـة بدلاً من أكواب الاستعمال اليـومي . . دعيه يحس بأننا نحتفي بقدومه . . اجعلي كل شيء يبدو مبهجاً بما فيه الكفاية .

(مـارثا تضيء شجـرة عيـد الميلاد . ثـم تـذهب إلى المطبـخ . . السيدة تجلس وتأخذ الجريدة تتصفحها . . مارثا تعود) .

الخادمة : وضعت الإناء فوق النار . . (تنتبه إلى أن السيدة تقرأ الصحيفة) أتقرئين باب الحظ؟

السيدة : لقد حان ذهابك يا مارثا .

الخادمة : يجب ان أبقى ياسيدتي، لأفتح له الباب وأقدم له الشاي .

السيدة : سأفتح له أنا الباب وأقدم الشاي .

الخادمة : ولكن سيدتي .

السيدة : عودي إلى بيتك . . مارثا .

الخادمة : أود فقط أن ألقي عليه نظرة .

السيدة : سترينه فيما بعد . . مارثا .

الخادمة : لكني لا أعرف مكاناً غير هذا المكان أذهب إليه .

السيدة : يجب أن أقابله وحدي . . (تأخذ بعض النقود من حقيبة يدها) سيساعدك هذا في العثور على مكان تأوين إليه .

الخادمة : هل أحضر غداً في الصباح .

السيدة : تعالي متى تشائين . (السيدة تدير ظهرها لمارثا التي تترك الغرفة إلى حجرة داخلية . تأخذ معطفها وحقيبة يدها وتخرج . الشمس غربت الآن . السيدة تشعل سيجارة . تتفقد وعاء الزهور وشجرة عيد الميلاد . تتصفح الجريدة . . بقلق . . فترة وجيزة ثم يطرق الباب) . (تخرج السيدة تفتح الباب)

صوت الرجل ـ (من خارج المسرح) طاب مساؤك . . اليزابيث . (يظهر الرجل على المسرح . في الأربعينيات من عمره ، قامة فارهة وبناء عضلي قوي ، يرتدي ملابس تقليدية ذات ألوان زاهية . يحمل معه ربطة من الزهور الذابلة)

السيدة : لقد تقدمت بك السن يا دونالد .

الرجل : وأنت كما أنت ، اليزابيث ، لاشيء فيك قد تغير.

السيدة : إنني امرأة وحيدة . . أدركها الكبر.

دونالد : لكن التوهج الذي كان يفيض به وجهك مازال ذات التوهج .

السيدة : (بعد لحظة صمت) هل هم يتبعونك؟ .

دونالد : من هم؟

السيدة : الناس الذين يتبعونك .

دونالد: إنهم لايعرفون لي مكاناً.

السيدة: ألم تتعب من هذه اللعبة.

دونالد: لا أتعب منها أبداً لأنني ألعبها جيداً.. حتى عندما كنت صغيراً كنت أكثر الأطفال موهبة في العثور على مكان أختبيء فيه.. عندما نلعب ألعاباً كالتي ألعبها أنا الآن.

السيدة: (فجأة) لماذا جئت؟

دونالد: كنت ماراً بالصدفة من أمام البيت، ورأيت أنه من اللائق أن آتي إلى هنا.. طالما أن لديك مناسبة تحتفلين بها (يقدم لها الزهور) عيد ميلاد سعيد لك ياسيدتي.

السيدة: (تأخذ الزهور) عيد ميلاد سعيد لك أنت أيضاً.. لكن هذه الزهور تعني أن الزيارة كانت مقصودة.

دونالد: إنه الربيع.. ينتشر في كل مكان خارج البيت والزهور أيضاً في كل مكان.. لا يقتضي الأمر إلا أن يمد الإنسان يده ويقطفها. ضعيها في الإناء.. إن لديها عبيراً معتقاً.

السيدة: شكرا علي أي حال (تضع الزهور في الإناء بدلاً من الزهور التي كانت موجودة أصلاً) يبدو أنك انتظرت طويلاً.

دونالد: الانتظار.. إنني أمارسه بخبرة ومهارة لامثيل لهما منذ أول يوم عرفت فيه العمل لحساب الآخرين.

السيدة: لقد كنت دائماً طفلاً صعباً.

دونالد: وكنت أنت دائماً بابا مفتوحاً لي.

السيـدة : ولكنك ذهبـت بعيـداً . . صرت إنسانـاً آخر مـدانـاً من كـل الناس، أخبـار الجرائم التي تـرتكبها في كـل صحيفة . . إنـك مطلوب . . مطلوب .

دونالد : إن هذا أفضل من أن يكون الإنسان غير مطلوب من أحد .

السيدة : ذهبت إلى السجن مرات عديدة .

دونالد : وحطمته وخرجت منه مرات عديدة أيضاً .

السيدة : أناس أبرياء (صمت) أنت قتلتهم (صمت) لقد كانوا أبرياء .

دونالد : بينما أنت هنا تقدمين التبرعات الطائلة لجمعيات الأيتام .

السيـدة : لقد كنـت هناك بـالخارج لاتفعـل شيئاً سـوي اغتيال سعـادة الناس الأبرياء .

دونـالـد : وأنت هنـا لاتفعلين شيئـاً سـوى الاعتنـاء الكامـل بـالأعمال التجارية التي خلفها زوجك الراحل .

السيدة : إنني أخشاك يا دونالد .

دونالد : لاتخشى شيئاً طالما أن أعمالك التجارية رائجة .

السيدة : لقد كانوا أبرياء .

دونالد : لا أحد بريء .

السيدة : الأيتام أبرياء (صمت) لقـد كنت يتيماً أنت نفسك، عمرك ستة أيـام عندمـا جاءوا بـك إلي . . غزت بـراءة وجهك قلـبي . . فوضعتـك فوق حجري ومنحتك صـدري، أرضعتك وغذيتك حتي صرت كبيراً .

دونالـد : ثم طلبت مني أن أذهـب . . رميت بي إلى بحر هـائج وقلت لي «حان وقت الإبحار» .

السيدة : كان ذلك عندما بلغت سن الفطام .

دونالد : وحيث إني ذهبت مبحراً تحت رايتك الخاصة . . فإن كل الرحلة لم تكن إلا نزهة .

السيدة : طموحك العظيم هو أن تغزو هذا العالم .

دونالد : ليس مهماً إذا ما كنت قد غزوت العالم أو لم أغزه طالما أنني لم أكن هنـاك بالخارج إلا لأداء مهمـة محددة ، هـي أن أقدم إمـدادات لملاجئ أيتامك ، أغذيها بأيتام جدد . . لكي تواصلي المسيرة . .

السيدة : ما ظننت عمري أنك ستغدو شريراً إلى هذا الحد .

دونالد : ليس سهلاً أن تنفضي يدك مـن الأمر بكل هذه البساطة ، ومهما كان ظنك بي فأنت تعرفين تمام المعـرفة أنني كنت هناك بالخارج أفعل ما أردتنـي أن أفعل ، أنجز مهمة أنت أوفـدتني إليها وكلما فعلت شيئاً كنت أفكر فيك جالسة هنا في ركنك المفضل تقرئين بسعادة بالغة أخبار ما فعلت في صحـف اليوم التالي عارفة أنني أفعل ذلك بالنيابة عنك .

السيدة : ليس ثمة مـن دليل على ما تقوله فأنا باعتبـاري أرملة رجل حاز في الاقتصاد أعظـم الأوسمة حاولت دائماً أن أرتفـع إلى مستوى السمعة التي خلفها وراءه المرحوم ، أن أواصل ما بدأ وأقود حياة كريمة شريفة .

دونالـد : وباعتبـارك رئيسة مجلس الإدارة فـأنت حـريصة على أن تـزدهر أعمال الشركة تحت رئاستك . .

السيدة : وأن أنشر السعادة والهناء بين التعساء من الناس .

دونالد : أرامل رجال لم يأخذوا أوسمة . (يصفر إناء الشاي في المطبخ) . .

السيدة : حان ميعاد الشاي . . (يذهب دونالد إلي جهاز الأسطوانات ليضع أسطوانة حديثة . يرقص على الموسيقي . تدخل السيدة تجر منضدة الشاي الصغيرة وعليها إناء الشاي واثنان من الأكواب الفضية وقطعتا جاتوه . تملأ فنجانا له وآخر لنفسها) .

السيدة : (وهي تقدم له فنجان الشاي) نسيت الخادمة أن تحضر شموعاً تعمل بها كعكة العيد . . ليعد عليك بالخير والهناء .

دونالد : وأنت أيضاً . . بالمناسبة لابد أنك قد كتبت وصيتك الآن .

السيدة : هل هذا ماجئت من أجله .

دونالد : إنني هنا فقط من أجل أن أراك سعيدة .

السيدة : ألست باقياً هنا .

دونالد : تعرفين تمام المعرفة أنني لا أستطيع أن أبقي .

السيدة : إنك هنا لكي تبقي . . دونالد . . إنهم يبحثون عنك في كل مكان . . سوف يجدونك ، ولسوف يأخذونك إلى السجن مرة أخري . وربما يصل الأمر إلى حد شنقك . .

دونالد : إنني لست باقياً . . وأنت تعرفين ذلك . . لقد جئت فقط لأذكرك بالوصية . إن لدي مهام لابد من إنجازها بعد أن أكون قد أكملت مهمتي هنا .

السيدة: يجب ألا تذهب. . يادونالد.

دونالد: يجب أن أذهب. . اليزابيث. .

السيدة: لماذا يجب أن تذهب؟ هل هو موعد؟

دونالد: حسناً. . إنه موعد. .

السيدة: أين مكانه؟

دونالد: ليس بعيداً.

السيدة: مع من هذا الموعد؟

دونالد: أحد الناس ممن لاتعرفين.

السيدة: ما هو اسمه؟

دونالد: لم هذا الاستجواب؟

السيدة: تواعد امرأة هذه الليلة، أليس كذلك؟. تسألها أن ترافقك إلى النادي الليلي. . تدعوها إلى وجبة عشاء فخمة، ورقص يمتد إلى آخر الليل وما إلى ذلك.

لابد أنها طفلة غرة، ترضي زهوك الذي لاحد له. . كم عمرها ياتري. . أربعة عشر. خمسة عشر. يفضل أن تكون شقراء. . أو فقط «ذات جمال ملحوظ» كما يحلو لك التعبير.

إلي أين ستأخذها ياتري؟ملهي الدانيوب. . أليس هو ملهي الدانيوب؟. .أكثر الأماكن في المدينة أمناً بالنسبة لرجل هارب من العدالة حيث الأضواء ناعمة خافتة تضفي على ملامحك طابعاً من النبل المزيف؟وبسلوك مبالغ في وجاهته سوف تسأل

الساقـي زجاجة من الشامبانيا ومقداراً كافياً من الكافيار. . شيء يليق بمناسبة كهذه؟

وستذوب الطفلة السكرية تحت تأثير كرمك وشهامتك ونبل ملامحك. . بعد ذلك ـ سيحين موعد الرقص. . نحن جميعاً نعرف كم أنت بارع في الرقص. . نحن جميعاً نعرف أنك تفضل الرقص بطيئاً. . لذا كن رفيقاً بأضلع الطفلة الصغيرة. . لاتحطم صدرها الغر. . فالليلة لم تنصرم بعد. . انتهي الرقص. . وهمست لها بقصيدة الأنجم السعيدة التي تحتفظ بها لمثل هذه المناسبات. . وحان الآن موعد ذهابكما معاً إلى ركنك المظلم حيث تختبئ النهار كله. وبعد أن تكون قد مضغت لبانتك معها. . لاشيء يبقى سوى أن تسألها السؤال المعتاد: ماهي رغبتك الأخيرة؟

وقبل أن تفتح شفتيها لتجيب تمد إليها ذراعين كذراعي الأخطبوط وتلف حول عنقها الصغير أصابع يعلوها الشعر، ودونما رحمة، بل بنشوة ولذة. . تكتم أنفاسها. . قل لي: أنا مخطئة. . قل: إن هذا كذب. (تبكي).

دونالد: إن هذه أعراض سيئة لمرض خطير. . اليزابيث. إنك تعرفين أنني لم أتصرف يوماً بمحض إرادتي، كنت دائما مجرد الخادم المنفذ لرغباتك. . المطيع لها طاعة عمياء.

السيدة: لاتذهب إذن. ابق هنا. كفاك تسكعاً وسفكاً للدماء.

دونالد: لم أخلق للبقاء داخل البيوت. متعتي الوحيدة في الدنيا أن أكون في الهواء الطلق مؤدياً واجباتي.

السيدة : ناشراً الموت .

دونالد : والارتياح .

السيدة : ألا تستطيع أن تضع حداً لكل هذا؟ .

دونالد : لا أستطيع . . اليزابيث .

السيدة : ألا تحاول؟ .

دونالد : لافائدة، وصلت إلى نقطة اللاعودة . (تتوقف السيدة عن بكائها الخفيف)

دونالد : (بعد فترة صمت) اليزابيث .

السيدة : ماذا تريد يادونالد؟

دونالد : جففي دموعك .

(السيدة تجفف دموعها بمنديل معها . . لاتقول شيئاً) .

دونالد : والآن . . اليزابيث .

السيدة : والآن ماذا؟

دونالد : (واقفاً) لنبدأ العمل الآن .

السيدة : (تقف مرتجفة . . وهي تحاول التراجع إلى الخلف) . . العمل؟؟

دونالد : تعالي إلى هنا . . اليزابيث (هي لاتتحرك يتجه دونالد نحوها في خطو بطئ) تعالي إلي هنا . أخبريني الآن .

(يمد نحوها ذراعيه . . يتجه فاتحاً يديه نحو عنقها . . بينما هي تتجمد رعباً)

ماهي رغبتك الأخيرة؟

(ستار)

الصحيفة

(غرفة الجلوس في بيت عائلة إنجليزية الوقت مساء يوم بارد الرجل يجلس إلى منضدة وسط المسرح ، يرفع أمامه صحيفة تحجب وجهه عن المشاهدين في الصالة . من وقت إلى آخر يأخذ رشفة من فنجان الشاي الذي أمامه . زوجته امرأة كبيرة في السن . تدخل من باب في أحد جوانب المسرح ، تأخذ طبقاً فارغاً من أمام الرجل . ترتدي فستانا منزليا بسيطا وتعقد حول وسطها مريلة المطبخ . في الجانب الأيسر مدفأة تشتعل بالحطب وبجوارها كرسي فوتيل ، الرجل في عمر يقارب عمر زوجته)

هي : (تأخذ الطبق الذي أمام الرجل) هل أعجبتك؟

هو: (بلا حماس) نعم ياعزيزتي . نعم لقد أعجبتني!

هي : (بحماس شديد) إذن ستكون هذه وجبة نتناولها كل أسبوع ، ما رأيك؟

هو: لا . . لاتقولي ذلك ، تعرفين جيداً أننا لانستطيع أن نجعلها وجبة أسبوعية (لحظة صمت) الأفضل أن تبقى على هذا الحال ، لكي تبقى دائماً لذيذة (لحظة صمت) الروتين سيقتل طعمها!

هي : ولكن لن يقتل رائحتها ، فدائما لها نفس العبير!

هو: تعرفين ما هو الروتين ، عندما يصبح الشيء روتينياً فقد انتهى!

هي : (بصوت يشوبه بعض الأسى) لقد كانت هذه وجبتنا المفضلة التي نتناولها كل يوم في السنين الأولى من زواجنا أليس كذلك يا عزيزي!

هـو: نعم، نعم، في تلك الأوقات المبكرة!

هي : (في طريقها إلي خارج الغرفة) لعل الوقت قد تأخر بنا الآن (لحظة صمت) هل أنت متأكد من أنها أعجبتك؟

هـو: نعم ياعزيزتي، وإلا ماكنت أكملت الطبق!

هي : حسناً إذن. (تأخذ الطبق إلى الخارج وتعود بعد أن خلعت مريلة المطبخ، تجلس في كرسي الصالون قريباً من المدفأة، يقلب هو الصفحة الأولى من الجريدة).

هي : هل من جديد في صحيفة اليوم ايها العزيز.

هـو: لاجديد، إنها هي هي، كما كانت بالأمس، وكما هي غداً.

هي : لماذا إذن تصر علي قراءتها كل يوم أيها العزيز!

هـو: لأنها تكتب بطريقة مختلفة كل يوم، نفس الشيء ولكن بأسلوب مختلف.

هي : هل هذا ما يسمونه «سحر االكلمات»؟ هل هذا ما يجعلك تقرؤها كل يوم؟

هـو: بالضبط، هذا ما يجعلني أقرؤها كل يوم يا عزيزتي!

هي : (بدلال) ولكنك تعاملني بطريقة مختلفة!

هـو: ماذا تقصدين يا عزيزتي.

هي : لـو قلت شيئاً مرة ، فـإنك لاتنصت إليـه لو أعدته مـرة أخرى . .
ألیس کذلك؟

هـو: سـأنصت إليه ، بالتـأكيد سأنصت إليـه لو قلته بأسلـوب مختلف
ياعزيزتي؟ هل تفهمين؟

هي : نعم أفهـم ، ولكنني لا أملك مايسمونـه سحر الكلمات ، ولا أريد
أن أملكه ، فهو يبدو كما لو أن الإنسـان عليه أن يتحول إلى ساحر
أو ساحرة ، وأنا لا أريد ذلك ، عندما كنت طفلة صغيرة . أستمع
إلى حكايـات الأطفال كنـت أتمنى فعلاً أن أكـون تلك السـاحرة
التي تملـك قوة سحرية تحت تصرفهـا ، ولكن هذه الفكـرة لم تعد
تروق لي بعد أن كبرت !

هـو: إنك رائعة كما أنت ياعزيزتي!

هي : ولكنهـم يملكون هذه القوة السحـرية التي تجعلهـم يجبرون الناس
على قراءة ما يعيدون كتابته كل يوم . . أليسوا هم كذلك ياعزيزي!

هـو: (مستغرق في قراءة الصحيفة) إنهم كذلك ياعزيزتي!

هي : (كأنها وقعت على اكتشاف) ويبيعون الأسلحة إلي إسرائيل أيضاً . .
أليسوا هم كذلك؟

(يقلب صفحة أخرى ولايقول شيئا)

هي : إنهم يبيعون الأسلحة إلى إسرائيل أيضاً . . أليسوا هم كذلك!!

هـو: (بنفاد صبر) هذه مسألة أخري!

هي : أعني في الصحيفة . . أليس هذا ما يقولونه في الصحيفة كل يوم!

هـو: نعـم يـاعـزيـزتي، إنهم يفعلـون ذلـك، إنهم يبيعـون أسلحـة إلى إسرائيـل، إن هـذا في الصفحـة الأولى، وأنا الآن أقـرأ الصفحـة الرابعة!

هي : هل بدأت قراءتها من الصفحة الأولي كما هى العادة!

هو: نعم ياعزيزتي . . من الأولى كما هي العادة!

هي : ماذا تقرأ في الصفحة الرابعة!

هو: «أين تسهر هذا المساء»!

هي : هل تقرأ هذا أيضاً!

هـو: وهل تريدينني أن أبقى جاهلاً بما تعرضه المسارح ودور العرض هذا المساء!

هي : (باشمئزاز) إنها تمتليء بالنماذج الشاذة!

هـو: ماذا تعنين؟

هـي : أعني أن مـوضوع أفـلامهـم ومسرحياتهم هـذه الأيام صـار يمتلئ بالحديث عن النماذج الشاذة!

هـو: إنني لا أهتم مطلقاً بهذه الأشياء!

هي : (بغضب وحدة) لماذا تقرؤها إذن!

هـو: (مرتبكا) ماذا؟

هي : (بنفس الحدة) لماذا تقرؤها إذن؟

هـو: لأعرف ماذا يعرضون!

هي : ولكنـك تدرك ، كما أدرك أنا ، أننا لم نعـد نذهب إلى السهـر خارج البيت!

هـو: ماذا تقصدين ياعزيزتي ، إننا دائماً نخرج للسهر خارج البيت!

هي : (تترك الكـرسي . . وتذهـب نحو الرجـل) متى كـانت آخـر سهرة ذهبنا إليها؟

هـو: منذ أسبوع مضى

هي : (بلهجة المحققين) وإلى أي مكان ذهبنا؟

هـو: إلي المسرح!

هي : إلى أي مسرح ذهبنا؟!

هـو: الاولدفيك .

هي : وما هي المسرحية التي ذهبنا كي نشاهدها؟

هـو: عطيل .

هي : (بلهجة هـادئة وقد عادت إلي مقعدها) كان ذلـك منذ خمسة عشر عاماً ياحبيبي!

هـو: لا . . لا تقولي هذا ، لقد كان ذلـك منذ أسبوع واحد مضي، أنا واثق مما أقول!

هي : (بـإشفاق حقيقي) مـا أسرع مايمضي الـزمان أيها العزيـز، وخمسة عشر عاماً يمكن أن تلوح وكأنها أسبوع واحد . .

هـو: (وقد بدا التأثر واضحـاً في لهجته) ولكن الصورة لاتزال واضحة في ذهني ، أذكر عندمـا قتل زوجته ديدمونة ، وعندمـا وضع الوسادة فوق وجهها حتى ماتت اختناقاً في سريرها . .

هي : (وكأنها اشتمت قصداً سيئاً مـن كلامه) ولكنه ندم كثيراً على فعلته بعد ذلك؟

هـو: نعم، نعم، لم أنس شيئا من ذلك، لقد كلفته حياته!

هي : كانت حقاً «فترة دموية» كما يقول الحوار في آخر المسرحية!

هـو: إذن فقد كانت الأسبوع الماضي!

هي : لا ياعزيـزي، إن «الخارج» الوحيد الذي نذهب إليـه هو الكنيسة يـوم الأحـد، والحديقة عنـدمـا يكـون النهـار مشمساً، هـذا هـو «الخارج» الوحيد الذي نذهب إليه.

هـو: كيف تقولين ذلك في حين أننا منذ فترة بسيطة مضت حضرنا حفلاً كبيراً، كنت أنـا ارتدي بدلتي الـرمادية، وكنت أنـت ترتدين ثـوباً ناصع البيـاض، كـان هنـاك عـدد مـن أكبر وأهـم شخصيـات المجتمع!

هي : (وقـد سرحت بـأفكارهـا مع كلماتـه) نعم . . نعـم، وزراء ومدراء وأعضاء برلمان وضباط من الرتب العالية في الجيش، كل واحد كان يبتسم لنـا ويأتي إلينا مصافحـاً ومهنئاً، كل شخصيـات المجتمع المشهورة كانت هناك، حتي نجوم المسرح والغناء حضروا الحفل!

هـو: وصحفيـون، أفضلهم، وأكثـرهـم شهرة كـانوا هنـاك، وأذكر الآن أضواء كاميراتهم كيف كانت قوية إلى حد أنها كادت تحرق عيني!

هي : لقد كتبوا عنه في كل الصحـف التي صدرت في اليوم التالي) وهناك كانت صورتانا، أنا وأنت، وأنت تضع ذراعك حول كتفي، وكان العنوان «حدث الأسبوع»؟!

هـو: والشمبانيا . . كان كل الناس يشربون شمبانيا!

هي: وكتبوا علي لسانك في الصحيفة تقـول إن ذلك اليوم كان أسعد أيام حياتك!

هـو: أفضل فرقة موسيقية في المدينة. . جاءت لتعزف لنا ذلك اليوم!

هي: نعم نعم، لقد رقصنا معاً. وغنينا، وشربنا، وضحكنا كثيراً كثيراً، كم كان ممتعاً كل ذلك. . كم كان ممتعاً!

هـو: مـا أكثر ما ابتهجنـا ذلك اليوم، وكم كنـت أنا وأنت سعيـدين إلى أبلغ حـد (لحظة صمـت كأنهما يستعيدان بهجـة ذلك اليـوم) كم مضى على ذلك الحفل؟ عشرة أيام؟!

هي: لا لا يا عزيزي ليست عشرة أيام، لقـد حدث ذلك منذ زمن بعيد مضى.

هـو: كيـف تقولين ذلك، إنها مجرد فترة قصيرة، فـأنا أذكر كـل تفصيلة صغيرة من تفصيلات ذلك الحفل، وكذلك أنت!

هي: كل شيء ممكـن ياعزيزي. إن لـك حساً قوياً بتلـك القدرة الهائلة التي يمـرق بها قطار الزمـن السريع، فـلا تجعل الأمر يـزعجك، استمر في قراءة صفحة الترفيه، لاتجعل هذا الحديث يفسد عليك «ترفيهـك»!! (لحظة صمت طويلـة) قل لي. . عندمـا تصل إلى صفحة الوفيات أيها العزيز!

هـو: (بشيء مـن الضيق) إنها في الصفحة السـادسة عشرة، ولـن أصل إليها فيما تبقى لي من العمر لو استمررت تقاطعينني بهذه الصورة!

هي: نعم ياعـزيزي، لم يبق من أعمارنا، إلا القليل، ولكـن لماذا تريدني أن أبقي صامتة، هل لأنني ذكرت إسرائيل.

هـو: لا، لم يكن ذلك هو السبب!

هي : لابد أن يكون ثمة شيء جديد في صفحة الوفيات!!

هو: نعـم ياعزيـزتي ربما لأنها الصفحة الـوحيدة التي تكتـب دائماً بنفس الأسلوب، كل يوم نفس الكلمات، إن تحريرها أكثر سهولة من كل الصفحات الأخري!

هي : هل يأخذون أجراً علي كتابتها!

هـو: من؟

هي : الناس الذين يكتبونها!

هـو: نعم إنهم يأخذون أجراً ياعزيزتي . . نعم!

هي : ويبيعون الأسلحة إلى إسرائيل . . ألا يفعلون ذلك ياعزيزي!

هـو: نعم إنهم يفعلون، كم مرة يجب أن أقول لك ذلك!

هي : ولمن أيضاً يبيعون الأسلحة!

هـو: إلى مختلف بلاد الدنيا!

هي : ويبيعون الأسلحة إلى جنوب أفريقياً أيضاً

هـو: إنهم يفعلون، إنك تعرفين كل شيء حول هذا الموضوع!

هي : أليس هذا هو العنوان الرئيسي في الصحيفة لعدد اليوم!

هـو: لا ياعزيزتي، إنهم يحتفظون به للعدد الذي يصدر غداً!

هـي : لماذا ياتـرى يبيعـون الأسلحة، مـاذا تقول الافتتـاحيـة حول هـذا الموضوع!

هـو: إنهم يصنعون كميات كبيرة منها، فلابد أن يجعلوا أحد الناس يشترى شيئاً منها!

هي: ويصنعون الحروب، إنهم يبيعونها من أجل الربح إذن!

هـو: لا أظن ذلك، الافتتاحية لم تذكر إطلاقاً هذا الكلام!

هي: ماذا تقول الافتتاحية إذن؟

هـو: ما هذا الوهم الذي سيطر علي ذهنك اليوم. لقد أصبتني بالارتباك، يجب أن أعيد قراءة هذا العمود، لم أستطع أن أفهم ماذا يريد الكاتب أن يقول. (تمنحه.. لحظة كي يواصل القراءة)

هي: (دون أن تنظر إليه) ما الذي جعلك تبتسم؟ لأي شئ ياتري أنت تبتسم!

هـو: (بخوف) لم ابتسم.

هي: (في غضب) لقد ابتسمت!

هـو: كيف عرفت ذلك؟

هي: ليس ضرورياً أن أذهب إليك وأضع عيني في وجهك لأعرف إن كنت تبتسم أم لا، فقد تربت لي من خلال هذه السنين ملكة أستطيع أن أعرف بها كل تصرفاتك حتى لو لم أرك!

هـو: قد لايكون ابتساماً!

هي: ما هو إذن؟

هـو: لا أعرف!

هي : (تذهب نحوه) أنا واثقة من أنها كانت ابتسامة، ابتسامة غمرت وجهك كله. ما الذي جعلك تبتسم؟

هو: لا أعرف على وجه اليقين.

هي: هل هي نكتة في الصحيفة جعلتك تبتسم؟

هو: لست متأكداً.

هي : هل كنت تحلم؟

هو: لا أدري!

هي : هل كان في الأمر كابوس؟

هو: لا أعلم!

هي : أنت تعلم أنك لاتستطيع أن تبتسم دون أن تجعلني أنا أيضاً أعرف سبب هذا الابتسام. . فهيا قل لماذا ابتسمت؟!

هو: لعله. لعله. .

هي : (مقاطعة) لعله ماذا؟

هو: لعله التعب!

هي : من القراءة؟ (عادت إليها لهجتها الهادئة) لماذا لاتترك الصحيفة إذن!

هو: لا أستطيع، تعرفين جيداً أنني لا أستطيع، إن على أن أنتهي من قراءتها كاملة!

هي : حسناً ياعزيزي، سأحضر إليك نظارة القراءة، فهذا ماتحتاجه الآن!

(تذهب مسرعة وتحضر إليه نظارة سوداء، تجلس إلى مقعدها، في حين يقلب صفحة ثم أخرى)

هي: لقد قفزت صفحتين مرة واحدة، هل هما نقد الكتب!

هو: نعم. . إنهما كذلك!

هي: إنك دائماً تمتنع عن قراءة هذا الباب، ولكنك لم تقل لي لماذا؟

هو: لأنهم أبداً لايكتبون هذا الباب بلغة إنجليزية، إنهم لايكتبون الموضوع إلا ونصفه بالفرنسية أو اللاتينية القديمة!

هي: ولكننا نحب هذه الصحيفة، إنها تغطي الأحداث بطريقة عظيمة، أحداث الوطن وأخبار العالم، أخبار الفن وأخبار الرياضة، المواليد والأموات، الزواج والطلاق، كل شيء!

هو: إنها بالتأكيد أفضل الصحف جميعاً. (لحظة من الصمت تمر، ثم تبدأ هي في الضحك، ثم يزداد الضحك علواً، إلى أن يصبح أقرب إلي الهستيريا)

هو: ماذا هناك؟

هي: مضحك؟

هو: ما هو المضحك؟

هي: هل تعرف ماذا فعلت يوم أمس؟

هو: ماذا؟

هي: (بضحك هستيري) مضحك إلى حد فظيع!

هو: (يتوجس خوفاً) ماذا تقولين؟

هي : لقد كنت تمسك بالصحيفة وهي مقلوبة!

هـو: (باندهاش وذعر حقيقيين) ما هذا الذي جئت تقولينه!

هي : لقـد كانـت الصحيفة مقلوبـة ، . وكنت تقرؤهـا كما لو كـانت في وضعها السليم! (يرمي بالصحيفة بعيداً، يتحسس بيده المنضدة . يقع فنجان الشاي على الأرض . يبدو وجهه للمشاهدين واضحاً . يدركون الآن أنه كان رجلاً أعمـى . يذهب باتجاه المرأة . يتكئ على حافة المنضدة) .

هـو: (منفجراً) إنك تكذبين . . تكذبين!

هي : إنها حقيقة .

هـو: لقـد خدعتني . . خـدعتني . كان يجب أن أعـرف . كان يجب ان تقـولي لي إنني أمسـك الصحيفة بطـريقة خـاطئة ، لا أن تجعلينـي استمر في قـراءتها وهي مقلـوبة لقـد خدعتنـي ، خدعتنـي ، إنني اختنـق ، خدعتنـي . إننـي أختنـق (يحاول أن يفك ربطـة عنقـه ، تذهب لتساعده) .

هي : كنت سـأقول لك ، ولكن الوقـت كان متأخراً عندمـا أدركت أنك تقـرؤهـا بطـريقة خـاطئـة ، كنـت قـد قـاربت مـن الانتهـاء مـن قراءتها! (تلتقـط فنجان الشاي الـذي سقط فـوق الأرض) لاتحمل هماً ياعزيزي ، كان هذا بالأمس فقط ، أما اليوم فقد كان كل شيء على ما يرام!

هـو: قد لا يكـون الأمس فقط ، قد يكون نفس الشيء حـدث اليوم ، قد أكون كل هذه السنين أقرؤها مقلوبة . . من يعرف؟ من يعرف؟

هي : لقد حدث ذلك مرة واحدة . . بالأمس فقط .

هـو: كيف حدث ذلك؟

هي : أعترف بأن الغلطة كانت غلطتي ، فعندما وضعت الصحيفة على عتبة البـاب كما جرت العـادة نسيت أن أحافـظ على نفس الـوضع الذي كنت أضع به الصحيفة كل يوم ، رميتها كما اتفق وجئت أنت وأخذتها معتقداً أنها وضعت بنفس الطريقة القديمة !

هـو: وكيف تسمحين لنفسك بارتكاب غلطة فظيعة مثل هذه !

هـي : كل يـوم ولمدة خمسة عشر عـامـاً ، آخذ الصحيفـة بعد أن تكمـل قراءتها ، وأضعها هناك علي عتبة الباب لتقرأها في اليوم التالي، نفس الصحيفــة ، بنفس الطــريقـة ، دونما خطــأ واحــد كـل هــذه السنـوات ، ثم تـأتي اليوم لتسمـي هفـوة بسيطة مثـل هذه «غلطـة فظيعة» !

هـو: هل أنت غاضبة مني !

هي : أبداً ياعزيزي لست غاضبة (لحظة صمت) هل أنت غاضب مني !

هـو: لسـت غاضبـاً ياعـزيزتي منـك . . (تذهـب هي في بـطء وتلتقط الصحيفة من فوق الأرض)

هو: لا أستطيع أن أقرأ شيئاً فيها !

هي : اترك الأمـر اليوم ، وغداً ستقرؤهـا وكأن شيئاً لم يكن (تـذهـب نحو عتبة الباب ثـم تقف) سوف نفكر في موضوع ملئ بـالإثارة لنجعله العنوان الرئيسي للصحيفة غداً .

هو: أين هي (يتحسس المنضدة) أين هي الصحيفة؟

هي : سأضعها قرب الباب!

هو: هاتيها (ويمد إليها يداً ترتعش).

هي : (وقد أحست بالخطر في لهجته . . تتردد في إعطائه الصحيفة).

هو: (بتصميم) هاتيها (مازالت يده ممدودة).

(تتردد مرة أخري، ثم تتقدم منه في بطء شديد. تضع الصحيفة في يده. يبدأ هو في تمزيق الصحيفة إلى قصاصات صغيرة، تقترب هي حتي تقف بجانبه. بعناية شديدة تأخذ الصحيفة الممزقة إلى قصاصات، تذهب بها إلى نار المدفأة، تضع القصاصات في النار وتجهش بالبكاء وهي ترى هذا الوهم الذي صنعته مع زوجها لمدة خمسة عشر عاماً قد تحطم اليوم. في حين وقف هو ينظر إلي البعيد بعينين انطفأ نورهما في حزن وصمت!)

(ببطء شديد ينزل الستار)

لن يقتلوا الربيع

(رجلان وامرأة وسط الحقول)

الرجل الأول ـ إنـه نيسان شهر العطر والشذا وبوح العشـق وغناء الورد.
أكملـت الأرض الجزء الأول مـن دورتها حـول محور الشمس، فانتهى الشتاء وعادت أنثـي الريح التي أعياها الصراخ صـامتـة إلى كهفهـا، وأقفـل رب الـرعـد والبرق والعواصف صنـدوق ألعابه فوق جبـال الأولمب، وأطلت افروديايت تنشر فوق الكون جدائل شعرها الذهبي، فغمر الدنيـا ضياء فصل جـديد، زاخرا بـالوعد ونـداء الحياة، مضمخـا بعطـر الأرض وعبيرهـا، مخضبة ليـاليـه بحنـاء القمر، وزعفران النجوم..

إنه الربيع يـأتي حاملاً قوارير عطر، يـرش بها الأفق ساكباً في أذن الكون أنغام فجر جديـد. وما إن سمعت الشجرة مـوسيقى الفجـر حتـى سرى في أغصـانها نسغ جـديـد، وتفتقت فوقها زهرة لها تويـج من نار، رأى الطائر كل هذا فأسكـره الشذا ومضى يبوح للـزهرة بقصة العشـق الذي داهمه في تلـك اللحظات. كـانت زهـرة خجـولة حيية لم تعـش قصة حـب قبـل هذا اليـوم. مـا إن سمعت غنـاء

العصفور وبوحه، حتي منحته نفسها منذ اللحظات الأولى وسمحت له بأن يرتشف الندى من فوق شفتيها . .

ثم بعد لحظات قصيرة من العشق، رأت العصفور ينشر جناحيه في الفضاء ويطير إلى زهرة أخرى يغني لها ويبثها لواعج قلبه، عندها بكت الزهرة وأدركت أن الحزن هو قدر الزهور الساذجة التي تؤمن بالحب من أول نظرة!

الرجل الثاني - إنه نيسان، شهر الطيور، الطيور العاشقة التي لاتؤمن بالوفاء لزهرة واحدة وإنما تمنح قلوبها لكل الزهور، ما إن تعود إلى أوطانها بعد أن أعياها الرحيل عبر المسافات، حتى تنفض عن أجنحتها غبار السفر والغربة، وذكريات البرد والمطر والثلوج، وتملأ مناقيرها بالشوق لموسم الخصب والنماء، تبني فوق الأغصان وأعالي الجبال أعشاش الحب، وتسيل حناجرها بالإنشاد احتفالاً بالحياة في دورتها المتجددة الخضراء، وتهيم عشقا بالأزهار والينابيع والسواقي وقطرات الندى . . فتغمر الكون بهجة الغناء .

الرجل الأول ــ إنه شهر الفراشات التي أيقظها الغناء، تأتي وهي تحمل فوق أجنحتها أقواس قزح لاتحصى، لتقيم بين الأشجار والأعشاب مهرجان الألوان، وتبدأ من فورها حلقات الرقص حول النار، وما إن يراها طفل الحب الإلهي، حتى يأتي راكبا جياد السحب البيضاء، مالئا جعابه بالسهام، يدخل معها حلقات الرقص، ويباشر عبثه الطفولي مطلقا

سهام الحب يرشق بها قلوب الرجال والنساء وكائنات الغابة. أصاب سهم من سهامه غزالة تركض عبر الحقول، فتوقفت عن الركض وهي تتأوه وترنو إلي قمر جميل أضاء السماء. أدركت أن سهام طفل الحب الإلهي قد أصابت قلبها، وأنها صارت عاشقة لذلك القمر البعيد الذي لاسبيل إلي الوصول إليه. ولكن طفل الحب العابث واصل رقصه مع الفراشات غير عابئ بعذابات غزالة أوقعها في حب لا أمل فيه.

الرجل الثاني ــ إنه شهر ذوبان الجليد فوق قمم الجبال، ما إن تسيل الجداول وتبدأ السواقي غناءها الجميل حتى تنتفض الأرض وتعلن عن بداية موسم الاحتفالات. تتفتح البراعم فوق أشجار اللوز والبرتقال، وتتأوه الأغصان وأوراق العشب وتتحول إلى أذرع خضراء تعانق أشعة الشمس، وتشعر دفعات الهواء بشذا الزهور، وينبض الأفق بجلال الألوان ونشيد الربيع.. ويبدأ العرس.

الرجل الأول ـ ما أعظم بهاءك أيها الشهر الذي نصبه الشعراء أميراً على كل شهور العام، ومنحته ربات الحسن الثلاث بركاتها وخرجت ترتدي أجمل فساتينها، توقد قناديل النجوم نجمة، نجمة، وتطوف بأكواب ملأتها برحيق الحب فتسقي القلوب، قلباً قلباً، ثم تجلس للعزف على أوتار القيثارة، فيضج الكون بالألحان وتغمر أركانه بهجة المحبة والسلام!

(تدخل المرأة)

المرأة ـ لا . . ليس هـذا صحيحاً، فلماذا لاتقولان الحقيقة إنـه ليس شهر الحب والسـلام والألحان التـي تغمـر الأرض والسماء، إنـه شهـر الرعب القـادم من الظلام. شهر طيور الموت السـوداء. . وقنابل النار والدخان، إنـه شهر آلام المسيح الذي يعاد صلبه مـن جديد كلما جاء نيسان. . إنـه الشهر الذي ينسلخ فيـه بعض البشر عن بشريتهـم ويظهـر فيه الإنسـان الخفـاش الذي يـأتي يحمل فـوق أجنحته الموت والدمار. . .

كان ذلك في الساعة الثانية بعـد منتصف ليلة من ليالي الربيع. .
كانت مدينتي تنام هانئة في أحضان قمر فضي علقته آلهة الضوء في قبة السماء. .

وكان ليل المدينة يعبق برائحة القرنفل وشذا أزهار الفل والياسمين وبساتين اللوز والمشمش والبرتقال. .

هجع الأطفال إلى مراقدهم بعد أن هدهدتهم أمهاتهم بأغنية حب الرمان وحكت خرافة البحار السبعة وابن السلطان. هانئة كانت مدينتنا تنام.

الصغيرة رشا. وضعت عروستها في حضنها ونامت، وألفت أبت أن تترك عرجون الفل ينام بعيدا عنها، وضعته بجوارها ونامت.

آمنة، هانئة كانت مدينتنا تنام، فقد ظن أهلها إنهم حقاً يعيشون في عـالم تحكمه شرائع الإنسـان، وفي عصر حقـق حضارة الأمـن والسلام للبشر جميعـاً، وفي عام أسموه في المنظمات الدوليـة العام العالمي للسلام!

هانـئـة كانت مدينتنا تنام .

وفي الساعـة الثانية بعد منتصـف الليل ، تماماً في تلك السـاعة ، والقمر كرة من البراءة البيضاء تنير الدنيا ، في تلك الساعة ، الثانية بعد منتصف الليل ، انفجر فوق مدينتنا الجحيم الأمريكي . .

فزعت الطيور التـي كانت تنام في مراقدها ، وفـرت من أعشاشها تبحث عن هواء لم تلـوثه أنفاس الخفافيش الأمريكيـة ثم سقطت ميتة فوق الأرض .

وتخضـب لون القمـر الفضي بدم رشـا وألفت ونبيـل وغيرهم مـن أطفال كانوا سادرين في أحلام وردية عن الغد الأبهى فجاء الرعب الأمريكي يقتلهم ويغتال أحـلامهم ، كما تخضب لون القمـر بدم عراجين الفل وعرائس الألعاب .

من بيتـه المظلم ، الأسـود ، في أقصى بقـاع الدنيـا ، أرسل ريجان العجوز الـذي نصب مـن نفسه أميراً للمـوت والظلام والخراب ، أسراب خفافيشـه تعبر سبعة بحـار ، لتزرع الموت فـوق مدينتنـا ، وجلس بأنيـابه الزرقاء التي يقطـر منها الدم أمام شـاشات إذاعته المرئية يتفرج علي خفـافيشه وهي تغتال الربيع وتسفـك دم الزهور وتقتل الأطفال والعصافير . .

نعم كان ذلك في ليلة الخامس عشر مـن شهر الطير (إبريل) عام ١٩٨٦ في منتصـف الشهر الـذي تسمونـه شهـر الحب والربيـع وأعراس الأرض . . فلماذا تزيفون الحقيقـة؟ لماذا لاتسمون الأشياء بأسمائها؟ فهو شهر الحقد والرعب وموت الربيع!

الرجلان (معاً) لا . . إنهم لن يقتلوا الربيع .

الرجل الأول ـ نعم لن يقتلوا الربيــع . برغم أمير الظلام وخفافيشه ، برغم ريجان ذي الأنياب الـزرقاء التـي يقطر منهـا الدم وطيـوره السوداء ، برغـم كل ذلك فإنهم لـن يستطيعوا أن يقتلوا في نفوسنا الربيع ! لن يقتلوه في قلوبنا وفوق أرضنا !

الـرجل الثـاني ـ نعـم يا أمـاه ، سـوف يظل نيسـان شهر الحب والعشـق وأعراس الأرض وغناء الطيور وشدو السواقي وعبير الزهور

برغم رعبهـم ، فإن الغزالة العـاشقة لن تتوقـف عن حب القمر ، والزهرة التي تعودت أن تقع في الحب من أول نظرة لن تتوقف عن حقها في ممارسة الحب .

برغم حقدهم ، فـإن الأرض سوف تستمر تدور حول محور الشمس ، تأتي بربيع جديد كل عام ، ولن يمنعنا ظلامهم من أن نحتفـل به كما تحتفـل الطيور والفـراشات والأزاهير والغزالات .

الرجل الأول ـ ما الذي استطاعوا تحقيقه يا أماه؟

هل حققوا هدفا واحدا مما أرادوه؟

هل قتلوا في أهلك إرادة الحياة؟

هل سقطـت الرايـة التي رفعناهـا عاليـا تخفق بـالعزة ومجد الكبرياء؟

هـل هوت النجـوم التي رصعنـا بها السماء أو تـوقفت عـن إرسال ضوئها الذي يغمر الكون بسناء الثورة؟

هل أطفئوا مشاعل الحرية التي أشعلناها فوق أرضنا؟

وكما أن النجوم لاتهجر سماءها .

والجذور لاتهجر أشجارها .

فنحن أيضاً يا أماه لن نهجر ربيع الحياة في بلادنا . . سنظل نعيش معه، ونحتفل به، ونرقص ونغني على موسيقي الفجر التي تعزفها أيامه الخضراء .

هـــارولـــد

(مسرحية في مشهد واحد)

(أثناء ساعات الدوام الرسمي . مكتب أحد المدراء في مؤسسة تشتغل بالغوص البحري في مدينة بريطانية . المدير يجلس على المكتب منهمكا في قراءة إحدى الصحف . طرق علي الباب . يدخل هارولد)

المدير ـ (دون أن يـرفع وجهه عن الصحيفـة أو ينظر باتجاه الرجـل الذي دخل إلى غـرفة مكتبه ووقـف قريبا منـه) أهلاً هارولـد. تفضل بالجلوس.

هارولد ـ عفوك سيدي . أريد فقط أن أعبر عن أسفي لأنني . .

المدير ـ (مقاطعـاً) لاحاجة بك للاعتذار ياهارولـد، لاتبق واقفاً هكذا. تفضل . اجلس .

هارولد ـ (يجلس) لابد أنك أخطأت يا سيدي فظننت أنني رجل آخر لأن اسمي في حقيقة الأمر هو «ألن» .

المدير ـ ما بـك ياهارولد (يترك الصحيفة جانبا) لماذا تقـول كلاماً لامعنى له . اسمك بالتأكيد ليس «ألـن» . إنه هارولد. كان دائما اسمك هارولد . إنه اسم لا غبار عليه إطـلاقا . بل هو اسم جيد جداً في واقـع الأمـر. فلا تحاول أن تعتـذر عـن هـذا الاسـم ياهـارولـد .

بالعكس عليـك أن تكون فخوراً به . لاتنس أنه كـان هناك ملك عظيم اشتهر في التاريخ بهذا الاسم . ولهذا فإنني أرجوك ألا تحاول أن تتنكر لاسمك هذا أو تهرب منه .

هارولـد ـ ولكنني لايمكـن أن أخطيء في معرفـة اسمي . إنني واثـق من صحة قواي العقلية . واثق مـن أن اسمي هو «ألن» . ولم يحدث أن دعاني أحـد باسم هـارولد ، غيرك أنت الآن . إنـني لا أعرف صديقـاً ولاقريبا يحمل هـذا الاسم . إنني علي يقين بأنـك تخلط بيني وبين إنسان آخر يحمل هذا الاسم . وأستطيع أن أثبت لك في الحال أن اسمي هو ألن وليس هارولد .

(يقف ويضـع يده في جيـب سترته الـداخلي بحثا عـن حافظـة أوراقه الشخصية)

المـدير ـ (بلهجة رسمية) عد إلى مقعدك أرجوك .

(ثـم بلهجة وديـة) لاشيء يستطيـع أن يغير حقيقة أن اسمـك هارولد أيها العزيز هارولد ، ووقوفك علي هذه الشاكلة مدعيا أن اسمك هو ألن لن يزيدني إلا اقتناعا بمدى التناقض بينك وبين هذا الاسـم الجديد الذي انتحلتـه الآن . إنه اسم لايمـت اليك بصلة ولا أراه باديا في أي جزء مـن مظهرك أو ملامحك . اجلس أرجوك ياهارولد .

هارولد (يهز كتفيه بلا مبالاة) حسنـا إذن (ضاحكا) إن كنت تحب اسم هارولـد ، وتريد أن تنـادي به كل إنسان يـدخل مكتبك فـأنت حر. (يأخذ من جيبه ظرفا مفتوحا ويقدمه إلى المدير ويجلس) .

المـدير ـ (ينظر نظرة سريعة إلى الورقة التي أخرجها من الظرف) أفهم أنك جئت راغباً في العمل هنا وإن التي أرسلتك هي الوكالة . . .

هارولـد ـ (يكمـل الجملة بحماس) الـوكالـة العالميـة للأعمال البحـرية . يعتقدون أنني مـلائم جداً للـوظيفة . قمـت بكل الاختبـارات المطلوبة ولم يبق إلا موافقتكم النهائية .

المـدير ـ هـل أخبروك بالمخاطر الكثيرة التي يتعرض لها العـاملون في هذه الحرفة .

هارولد ـ إنها ليسـت حرفة بالنسبة لي ، وإنما هوايـة ومتعة . الغوص تحت الماء هو ريـاضتي المفضلـة التي لا أحب ريـاضة غيرهـا منذ أن كنت طفلاً . حلم حياتي كان دائما أن أصبح غواصاً محترفاً .

المـدير ـ (يخرج من مكتبه ويذهب باتجاه هـارولد الذي يقف أمامه يضع المدير يده فوق كتف هارولد ويتـأمله بإعجاب) إنه شيء رائع . شيء بديع . إنني أشعر دائما بالامتنان والرضا عندما أجد رجالاً تمتليء قلوبهم بحب إنجلترا ، وعلى استعداد للموت من أجلها .

هارولد ـ (بشيء من الحرج) إننـا نتحدث عن الغوص . إنه لايشبه الموت أبدا . إنه شيء ساحر . شيء جميل .

المـدير ـ نعـم . هذا ما أقصده . إن الغـوص من أجل البلاد التـي نحبها أمر جليل أيضاً .

هارولد ـ (بـاديا عليه الحرج لايزال) إنني في الحقيقة مـن أصل ايرلندي . هـذا طبعاً لايعنـي أنني لا أحـب إنجلترا . أقول هـذا توضيحـاً للأمور حتي إذا أردتم إعادة النظـر في الموضوع كله ، فإنني أقبل ذلك بصدر رحب .

المدير ـ أبداً، العكس هو الصحيح. إنني أكثر فخراً وإحساساً بالرضا والامتنان عندما أرى رجلا إيرلنديًا يمتلئ قلبه بحب انجلترا وعلى استعداد لأن يذهب من أجلها، مخاطراً بحياته في بحر الشمال.

هارولد ـ (يبدو حائراً) نعم سيدي، نعم. (مرددا دون تفكير) مخاطراً من أجلها في بحر الشمال.

المدير ـ يجب أن نبحث دائما عن رجال شجعان مثلك، يتحمسون للغوص تحت الماء من أجل بلادهم. يجب أن يظل المدد متواصلا لاينقطع (بصوت أكثر خطورة) لأنه، كما تعلم، فإن الفاقد من البشر في هذه المهنة ليس قليلاً.. حالة مأساوية أليس كذلك؟ (يضع توقيعه على الورقة ويعيدها إليه) حسناً لقد تم قبولك للعمل معنا.. قدم هذه الأوراق للمكتب المجاور.. ستجد هناك من يتولى إكمال الترتيبات.

هارولد (وهو يأخذ الورقة) متى تحبون، سيدي، أن أبدأ العمل؟

المدير ـ في أية لحظة تشاء، منذ الآن إذا أردت، وداعاً. (هارولد يهز رأسه بالتحية ويتجه إلى الباب متمتما بكلمات الشكر وما إن يصل إلى الباب ويهم بفتحه حتى يسمع نداء المدير)

ـ هارولد.

هارولد ـ (يلتفت نحو المدير وقد تجمد في مكانه) نعم.

المدير ـ لماذا أنكرت اسمك الحقيقي. (ينظر هارولد إلى المدير في حيرة وأسي). لماذا قلت إن اسمك هو «آلن» وليس «هارولد».

هارولد (يتحرك نحو المدير ويتحدث بصوت تكاد تخنقه العبرات) إنه

فعلاً «ألـن» يا سيـدي. يمكنك أن تتأكـد بنفسك مـن ذلك. (يخرج محفظة أوراقه وبطـاقته الخاصة) هذه بطاقـة الهوية. هذه بطـاقة التـأمين الصحي. هـذه بطـاقة الاشتراك في المواصـلات العامة. هذه بطاقة النـادي الرياضي الذي أنتمي إليه. المصرف الذي أتعامل معه. كلها تنبئـك باسمي الحقيقي. إنه «ألن». «ألن». «ألن». (يرمي بجميع هذه البطاقات أمام المدير).

المدير ـ (يتأمل البطاقات واحدة واحدة، تمر لحظة صمت ثقيلة، قبل أن يقول بصوت بارد) إنها جميعا تقول إن اسمك هو هارولد!.

هارولد ـ (في حالة من الذهول وعدم التصديق يتناول البطاقات. تتملكه حالة من الرعب وهو يمعن النظر في أولى البطاقات) إن هذا أمر مستحيل غير معقول. لا أستطيع أن أصـدق مايحدث. (يأخذ بطاقـة أخري) إنها أيضـاً تقول بأن اسمـي هارولـد (يأخـذ بقية البطاقات واحدة بعد الأخري ويتمعن في كل واحدة منها) وهذه أيضاً تقول هارولد وهذه أيضاً هارولد.

هارولد. هارولد. هارولد.

(يحس بالانهيار فيتكيء علي المكتب، وبصوت أجش، لاهث، متقطع، يقـول) أحس بـالاختناق. لا أستطيـع أن أتنفس. لا أستطيع أن أتنفس.

(ستار)



المحتويات

رقم الايداع . ٩٧/١٦٥٧
I.S.B.N.977- 09 - 0369 - 8

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس ٤٠٣٧٥٦٧٠ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)